تشبيهات المؤمن في الحديث النبوي

دكتور

د . محمد أحمد أحمد محمد أبو نبوت

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة

والأستاذ المشارك في كلية الآداب

جامعة الملك عبد العزيز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحمد لله الذي أسند الفلاح للمؤمنين ، ووعد بالقبول من المخلصين المتقين ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد ، وأفضل داع إلى الله وهاد ، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي خصه الله بكمال الفصاحة بين البدو والحضر ، وأنطقه بجوامع الكلم ، فأعجز بلغاء ربيعة ومضر ، ومنحه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد ،،،

فقد اتفق العلماء على أن فصاحة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة التي يمكن أن يصل إليها البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة ؛ إذ كلامه صلى الله عليه وسلم يحمل صفاته من عصمة وتأييد ، وتوفيق من الله – تعالى – ، فكلامه صلى الله عليه وسلم هو القريب من حد الإعجاز ... ولذا فمنزلة كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – تلي منزلة القرآن الكريم في الفصاحة والبلاغة ..

وإذا كانت لغة البشر تتفاوت مراتبها ، فإن لغة النبي – صلى الله عليه وسلم – أفصحها وأعلاها ، وأصفاها وأحلاها ، وأتقنها وأرقاها ، فما تكلم بليغ كما تكلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما أحاط بلغة العرب أحد كما أحاط بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم لا وهي قبس من كلمات الله – تعالى – وشعاع من بيان الوحي ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأوجه البلاغة في كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة ، ومنها أنه يضع كل كلمة في مكانها وسياقها المناسب لها ، وعلى ذلك جاءت تشبيهات المؤمن في كلامه صلى الله عليه وسلم ، فعلى الرغم من كثرتها وتنوعها إلا أنه اختير في كل موضع المشبه به المناسب للسياق الذي ورد فيه ؛ بحيث لا يصح في أي تشبيه منها أن نغير المشبه به أو نضع بعضها في موضع بعضها الآخر ..

ومن هنا حاولت جمع التشبيهات المختلفة للمؤمن في كلامه صلى الله عليه وسلم ، وضممت النظير إلى نظيره ؛ وقسمتها حسب المشبه به ، والدراسة جاءت في خمسة أقسام على النحو الآتي :

أولا : تشبيه المؤمن بالزروع والثمار ، وذكرت فيه تشبيه المؤمن بالنخلة ، والخامة من الزرع ، أو السنبلة ، والأترجة والتمرة ..

ثانيا : تشبيه المؤمن بالحيوان ، وذكرت فيه تشبيه المؤمن بالجمل الأنف ، والفرس ..

ثالثا : تشبيه المؤمن بالجماد ، وذكرت فيه تشبيه المؤمن بالبنيان ، والمرآة ، والذهب ..

رابعا : تشبيه المؤمن بالجسد وأجزائه ، وذكرت فيه تشبيه المؤمن بالجسد ، والرأس ، واليدين تغسل إحداهما الأخرى ..

خامسا : تشبيه متفرقة للمؤمن ، وذكرت فيها تشبيه المؤمن بالنحلة ، والعطار ، والطرف ، والبرق ، والريح ، وأجاويد الخيل ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي كل تشبيه من هذه التشبيهات بينت الغرض الذي جاء لأجله هذا التشبيه ، وسر اختيار المشبه به في كل موضع .. كما بينت كيف إن أكثر من تشبيه يتلاقى ويتآزر في تحقيق غرض معين ..

وهذا العمل يفتح الباب أمام الباحثين لدراسة التشبيهات المختلفة في كلامه صلى الله عليه وسلم ، وكيف إن المشبه الواحد تتنوع الأشياء التي يشبه بها ، وبالتالي يمكن عمل معجم متكامل لتشبيهاته صلى الله عليه وسلم ..

وهذا ما وفقني الله لكتابته ، فإن أكن قد وفقت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أنني بذلت كل ما في وسعي وطاقتي ، والكمال لله وحده ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ..

والله أسأل أن يجعل السداد رائدي ، والتوفيق حليفي ، إنه أكرم مسئول وأعز مأمول .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،،

الباحث

د. محمد أحمد أحمد محمد أبو نبوت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : تشبيه المؤمن بالزروع والثمار

الذي ينظر في تشبيهات المؤمن بالزروع أو الثمار يجد أن ذلك جاء في أكثر من موضع ؛ حيث شبه مرة بالنخلة ، وأخرى بالخامة أو السنبلة ، وثالثة بالأترجة ، ورابعة بالتمرة ... وكل موضع من هذه التشبيهات له سياقه الخاص به الذي لا يصح فيه غيره .. كما سيتضح أثناء الدراسة .

١ – تشبيه المؤمن بالنخلة :

ورد تشبيه المؤمن بالنخلة في الحديث المشهور الذي يرويه البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : " قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ فَقَالَ الْقَوْمُ : هِيَ شَجَرَةُ كَذَا هِيَ شَجَرَةُ كَذَا ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْت ، فَقَالَ : هِيَ النَّخْلَةُ " (١)

---

١ - ينظر : صحيح البخاري٥ / ٢٢٦٨ حديث رقم ٥٧٧٠ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٦٥ حديث رقم ٢٨١١ وعمدة القارئ : ٢١/٢وشرح النووي لمسلم : ١٧ /٩٠ والحديث في أسرار البلاغة : ٢٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أول ما يلحظ في تشبيه المؤمن بالنخلة في هذا الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يشبه المؤمن بالنخلة هكذا غفلا دون أن يكون هناك ما يسوغ لهذا التشبيه ، والذي سوغ لمجيء هذا التشبيه هو سياق الحال ؛ إذ ورد في بعض الروايات أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يأكل جمارا (١) فكونه يأكل الجمار سوغ لتشبيه المؤمن بالنخلة ، ولعل هذا هو الذي أوقع في نفس ابن عمر أن المقصود بهذه الشجرة النخلة ، ويؤيد ذلك ما رواه أَبُو عَوَانَة فِي صَحِيحه مِنْ طَرِيق مُجَاهد عَن ابن عُمَر وَجْه ذَلِكَ قَالَ: فَظَنَنْت أَنَّهَا النَّخْلَة مِنْ أَجْل الْجُمَّار الَّذِي أُتِيَ بِهِ (٢) .

فهذا السياق هو الذي أدى إلى ورود هذا التشبيه ، فلولاه لما كان هناك سبب يؤدي إلى تشبيه المؤمن بالنخلة ، كما أن هذا السياق يجعل تشبيه المؤمن خاصا بكونه بالنخلة ، فلا يصح في هذا السياق أن يشبه المؤمن بشجرة أخرى غير النخلة ؛ إذ لا يكون هناك مسوغ لمثل هذا التشبيه .

كما يلحظ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عبر عن المشبه " المؤمن " معرفا بالألف واللام هكذا " المؤمن " – وهذا أيضا جاء في كل

---

١ - الجمار : جمع جمارة وهي قلب النخلة وشحمتها ، ينظر : النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٠٤ طبعة المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٢ هـ .

٢ - ينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشبيهات المؤمن كما سيتضح من خلال هذا البحث – وهذا فيه دلالة على أنه المؤمن الكامل في نعوت الإيمان ، الجامع لمكارمه من علم وعمل وتوكل وطمأنينة إلى ربه ومحبة للمؤمنين وإقبال عليهم .. ولم يأت التعبير عنه بالموصول مثلا " الذي آمن " وهذا يتلاقى مع البيان القرآني في التفرقة بين الاستعمالين ،كما نبه لذلك الحرالي عند تفسيره لقوله تعالى { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا } [البقرة ١٤] حيث يقول : " { الذين آمنوا } أي حقاً ظاهراً وباطناً ، ولكن إيمانهم كما قال الحرالي فعل من أفعالهم لم ينته إلى أن يصير صفة لهم ، وأما المؤمنون الذين صار إيمانهم صفة لهم فلا يكادون يلقونهم بمقتضاه ؛ لأنهم لا يجدون معهم مدخلاً في قول ولا مؤانسة ؛ لأن اللقاء لا بد فيه من إقبال ما من المتلقين " (١) .

وقد أكد ذلك الحرالي في أكثر من موضع ، وبين أن المؤمنين لعلو منزلتهم لم ينادوا في القرآن نداء بُعْدٍ (٢) ، فهو يرى أن رتبة المؤمنين فوق رتبة الذين آمنوا ؛ لأن الذين آمنوا ما زال الإيمان فعلا لهم لم يصل بعد إلى أن يكون صفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم كما هو الحال مع

---

١ - نظم الدرر للبقاعي ١ / ٤٦ .

٢ - ينظر : نظم الدرر ١ / ٣٣٧ ، مفتاح الباب المقفل في فهم القرآن المنزل للحرالي ١٥ ، ١٦ مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٦٧ تفسير تيمور بمكتبة تيمور .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمنين ، وبناء على ذلك علل لمجيء الأمر والنهي في القرآن للذين آمنوا بعد ندائهم نداء بُعْدٍ ، بخلاف المؤمنين فلم يأت معهم ذلك ..

كما يلحظ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا التشبيه لم ينص على النخلة مباشرة ولكن أراد أن يثير حوارا يشد السامعين إلى ما يقول ، فسأل أصحابه عن الشجرة التي تشبه المؤمن (١) ولم يترك النبي – صلى الله عليه وسلم – النخلة دون أن يقربها إلى الأفهام ؛ ولذا ذكر أوصافها فهي شجرة خضراء ، لا يسقط ورقها ولا يتحات .. ومع هذه الأوصاف فإن الناس لم يعرفوا أي شجرة هي ، وظنوا أنها شجرة غريبة لا يعرفونها من شجر البوادي .. ولكن ابن عمر وقع في نفسه أنها النخلة ، ولكن لم يذكر ذلك نظرا لصغر سنه وسط كبار الصحابة كما جاء في قوله : " فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ " وفي رواية مسلم : " قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَوْ رُوعِيَ أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ "

وهذه الأوصاف التي ذكرها صلى الله عليه وسلم في جانب المشبه به " النخلة " كلها ترفع من شأن النخلة ، وتجعل الناس يتعلقون بها نظرا لعظم فوائدها ، وجليل نفعها ...

---

١ - ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٥ د محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن هذه الأوصاف لها دخل في استخراج وجه الشبه ، فكونها خضراء يجعل الإفادة منها أكبر ، والنظر إليها أبهى وأجمل ، وهكذا المؤمن ينبغي أن يكون نفعه أكبر ، والنظر إليه أبهى وأجمل .. هذا فضلا عن أن الخضرة مما يستأنس بها الإنسان ويستريح بالنظر إليها ؛ ولذا كان وصف ثياب أهل الجنة الخضر ، كما حكاه القرآن في قوله : {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الكهف ٣١] وقوله : { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان ٢١] ..

وكونها لا يسقط لها ورقة ذكر ابن حجر وجه الشبه في ذلك بالمؤمن بقوله : " وَوَجْه الشَّبَه بَيْن النَّخْلَة وَالْمُسْلِم مِنْ جِهَة عَدَم سُقُوط الْوَرَق مَا رَوَاهُ الْحَارِث بْن أَبِي أُسَامَة فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ وَجْه آخَر عَنْ ابْن عُمَر وَلَفْظه " قَالَ : كُنَّا عِنْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ذَات يَوْم فَقَالَ : إِنَّ مِثْل الْمُؤْمِن كَمِثْلِ شَجَرَة لَا تَسْقُط لَهَا أُنْمُلَة ، أَتَدْرُونَ مَا هِيَ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هِيَ النَّخْلَة ، لَا تَسْقُط لَهَا أُنْمُلَة ، وَلَا تَسْقُط لِمُؤْمِنٍ دَعْوَة " (١) .

ولا شك أن وجه الشبه بين المؤمن والنخلة لا يقتصر على شيء واحد ، بل هو من أوجه متعددة .. ولذا ورد في بعض الروايات " إِنَّ مِن الشَّجَر لَمَا بَرَكَته كَبَرَكَةِ الْمُسْلِم " (٢) وقد علق ابن حجر على ذلك بأنه

---

١ - فتح الباري ١ / ١٤٥.

٢ - صحيح البخاري ٥ / ٢٠ ٧٥ ، حديث رقم ٥١٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعم من الذي قبله(١) [أي قصر وجه الشبه على عدم سقوط شيء]
وهذا يدل على أن وجه الشبه هو عموم النفع في كل من المؤمن والنخلة
، وقد جاء النص على ذلك في حديث الطبراني "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ ،
مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ " (٢) .

وعموم النفع في المؤمن له كثير من الأدلة التي تؤيده من ذلك ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل المؤمن كمثل النخلة ، إن صاحبته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن جالسته نفعك ، وكل شأنه منافع ، وكذلك النخلة كل شأنها منافع » (٣)فنفع النَّخْلَة مَوْجُود فِي جَمِيع أَجْزَائِهَا ، مُسْتَمِرّ فِي جَمِيع أَحْوَالهَا ، فَمِنْ حِين تَطْلُع إِلَى أَنْ تَيْبَس تُؤْكَل أَنْوَاعًا ، ثُمَّ بَعْد ذَلِكَ يُنْتَفَع بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا ، حَتَّى النَّوَى فِي عَلْف الدَّوَابّ وَاللِّيف فِي الْحِبَال وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى ، وَكَذَلِكَ نفع الْمُؤمن عَامّ فِي جَمِيع الْأَحْوَال ، فَنَفْعه مُسْتَمِرّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ .. ولذلك قال النووي : " قَالَ الْعُلَمَاء : وَشَبَّهَ النَّخْلَة بِالْمُسْلِمِ فِي كَثْرَة خَيْرهَا ، وَدَوَام ظِلّهَا ، وَطِيب ثَمَرهَا ، وَوُجُوده عَلَى الدَّوَام ، فَإِنَّهُ مِنْ حِين يَطْلُع ثَمَرهَا لَا يَزَال يُؤْكَل مِنْهُ حَتَّى يَيْبَس ، وَبَعْد أَنْ يَيْبَس يُتَّخَذ مِنْهُ مَنَافِع كَثِيرَة ، وَمِنْ خَشَبهَا وَوَرَقهَا وَأَغْصَانهَا ، فَيُسْتَعْمَل جُذُوعًا وَحَطَبًا وَعِصِيًّا وَمَخَاصِر

---

١ - ينظر : فتح الباري ١ / ١٤٥ .
٢ - العجم الكبير للطبراني ١٢ / ٤١١ حديث رقم ١٣٥١٤ .
٣ - شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ٥٠٤ حديث رقم ٩٠٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَحُصْرًا وَحِبَالًا وَأَوَانِي وَغَيْر ذَلِكَ ، ثُمَّ آخِر شَيْء مِنْهَا نَوَاهَا ، وَيُنْتَفَع بِهِ عَلَفًا لِلْإِبِلِ ، ثُمَّ جَمَال نَبَاتهَا ، وَحُسْن هَيْئَة ثَمَرهَا ، فَهِيَ مَنَافِع كُلّهَا، وَخَيْر وَجَمَال ، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِن خَيْر كُلّه ، مِنْ كَثْرَة طَاعَاته وَمَكَارِم أَخْلَاقه ، وَيُوَاظِب عَلَى صَلَاته وَصِيَامه وَقِرَاءَته وَذِكْره وَالصَّدَقَة وَالصِّلَة ، وَسَائِر الطَّاعَات ، وَغَيْر ذَلِكَ ، فَهَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي وَجْه التَّشْبِيه " (١)

.

بل إن ابن حجر رد كثيرا من الأقوال التي تقصر التشبيه على أمور لا تتعلق بسياق إثبات عموم النفع الذي يختص به كل من المؤمن والنخلة بقوله : " . وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَوْقِع التَّشْبِيه بَيْن الْمُسْلِم وَالنَّخْلَة مِنْ جِهَة كَوْن النَّخْلَة إِذَا قُطِعَ رَأْسهَا مَاتَتْ ، أَوْ لِأَنَّهَا لَا تَحْمِل حَتَّى تُلَقَّح ، أَوْ لِأَنَّهَا تَمُوت إِذَا غَرِقَتْ ، أَوْ لِأَنَّ لِطَلْعِهَا رَائِحَة مَنِيّ الْآدَمِيّ ، أَوْ لِأَنَّهَا تَعْشَق ، أَوْ لِأَنَّهَا تَشْرَب مِنْ أَعْلَاهَا ، فَكُلّهَا أَوْجُه ضَعِيفَة ؛ لِأَنَّ جَمِيع ذَلِكَ مِن الْمُشَابِهَات مُشْتَرِك فِي الْآدَمِيِّينَ لَا يَخْتَصّ بِالْمُسْلِمِ ، وَأَضْعَف مِنْ ذَلِكَ قَوْل مَنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِكَوْنِهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَة طِين آدَم فَإِنَّ الْحَدِيث فِي ذَلِكَ لَمْ يَثْبُت ، وَاَللَّه أَعْلَم "(٢) .

ولكمال النفع واشتهاره في كل من المؤمن والنخلة صح أن يقع كل منهما مشبها به ، فإذا كان هذا الحديث موضع الدراسة ورد فيه تشبيه

---

١ - شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ١٥٤ .

٢ - فتح الباري : ١ / ١٤٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمن بالنخلة فإن هناك من الروايات ما يعكس هذا التشبيه فتجعل النخلة مشبها والمؤمن مشبها به ، ومن ذلك ما ورد عَن ابنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ يَأْكُلُ جُمَّارًا فَقَالَ : مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ كَالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَحْدَثُهُمْ ، قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ " (١) .

فهذه الرواية وغيرها مما شبهت النخلة بالمؤمن تدل على أن منافع المؤمن بلغت من الكمال والاشتهار حدا صح معه أن يجعل مشبها به ، كما أن منافع النخلة أيضا بلغت حدا من الكمال والاشتهار يصح معه أن تجعل مشبها به ، وهذا يتعارض مع ما ذكره البلاغيون من أن وجه الشبه ينبغي أن يكون في المشبه به أكمل وأظهر وأشهر منه في المشبه (٢) ؛ إذ وجه الشبه هنا " عموم النفع " تساوي في كل من المشبه والمشبه به [المؤمن والنخلة] ولذا صح أن يقع كل منهما موقع الآخر .

ويمكن أن يكون التشبيه على هذه الرواية من التشبيه المقلوب بناء على أن النفع في الشجرة أظهر لأكثر الناس من نفع المؤمن ..

---

١ - صحيح البخاري ٢ / ٧٦٨ حديث رقم ٢٠ ٩٥ .، وينظر : صحيح مسلم ٤ / ٢١٦٥ حديث رقم ٢٨١١ .

٢ - ينظر في ذلك :الإيضاح ٣ / ٣٩٩ " شروح " ، المختصر ، حاشية الدسوقي ، مواهب الفتاح ، والخصائص : ٣٠٠/١، عروس الأفراح ٣ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،والمثل السائر : ٤٠٣/١ ، علم البيان د . بسيوني فيود ١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- تشبيه المؤمن بالخامة أو السنبلة :

ورد تشبيه المؤمن بالخامة في حديث البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنَتْ اعْتَدَلَتْ ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ " (١) .

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ " (٢) .

---

١ - صحيح البخاري ٥ / ٢١٣٧ حديث رقم : ٥٣١٩ وعمدة القارئ ٢٥/ ٢١٨ حديث رقم ٧٤٦٦كتاب التوحيد باب يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

٢ - صحيح مسلم ٤ / ٢١٦٣ حديث رقم ٢٨٠٩ . [الخامة : هِيَ الطَّاقة الطَّرِيَّة اللَّيِّنَة أَوْ الغَضَّة ، قَالَ الخَلِيل : الخَامَة الزَّرْع أَوَّل مَا يَنْبُت عَلَى سَاق وَاحِد .. والأَرْزَة : هِيَ الثَّابِتَة فِي الأَرْض . وَقَالَ الخَطَّابِيُّ : الأَرْزَة مَفْتُوحَة الرَّاء وَاحِدَة الأَرْز وَهُوَ شَجَر الصَّنَوْبَر فِيمَا يُقَال . وَقَالُوا : هُوَ شَجَر مُعْتَدِل صُلْب لَا يُحَرِّكهُ هُبُوب الرِّيح] . ينظر : فتح الباري ١٠ / ١٠٧والحديث في أسرار البلاغة : ٢٤٥ ، والمثل السائر :٢٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ورد تشبيه المؤمن بالسنبلة في حديث الإمام أحمد عنْ جابرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ السُّنْبُلَةِ تَخِرُّ مَرَّةً وَتَسْتَقِيمُ مَرَّةً ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزِ لَا يَزَالُ مُسْتَقِيمًا حَتَّى يَخِرَّ وَلَا يَشْعُرَ " (١) .

والذي يتأمل هذا الحديث وسياقه الذي ورد فيه يجد أنه ورد في سياق الحديث عما يصيب المؤمن من البلاء ، وأن الذي يصيبه كفارة لذنوبه ؛ ولذلك جعله البخاري في باب " ما جاء في كفارة المرض وقول الله تعالى :{ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء ١٢٣] وإذا كان المرض بلاء بالنسبة للمؤمن فكذا الريح تعد بلاء بالنسبة للخامة من الزرع ، أو السنبلة .

ونظرا لأن الحديث جاء في هذا السياق فقد قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمُؤْمِن كَثِير الْآلَام فِي بَدَنه أَوْ أَهْله أَوْ مَاله ، وَذَلِكَ مُكَفِّر لِسَيِّئَاتِهِ ، وَرَافِع لِدَرَجَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِر فَقَلِيلهَا ، وَإِنْ وَقَعَ بِهِ شَيْء لَمْ يُكَفِّر شَيْئًا مِنْ سَيِّئَاته ، بَلْ يَأْتِي بِهَا يَوْم الْقِيَامَة كَامِلَة (٢) .

وكون الحديث هنا ورد في سياق الحديث عن البلاء وبيان ما يصيب المؤمن ، وأنه كفارة له ؛ فذلك هو الذي استدعى تشبيه المؤمن بالخامة

---

١ - مسند الإمام أحمد ٣ / ٣٨٧ حديث رقم ١٥١٩٣ وفي العمدة ٤٥٨/١ حديث رقم ٥٦٤٣.

٢ - شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ١٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دون غيرها من أنواع الزروع والأشجار ؛ إذ لا يصح في هذا السياق أن يشبه المؤمن بالنخلة مثلا - كما في الموضع السابق - ؛ إذ النخلة لا يظهر فيها الإصابة بالبلاء كما يظهر في الخامة ..

ولعل تشبيه المؤمن بالخامة فيه دلالة على خضوعه لله وقبوله لأوامره عن رضا وطواعية ، وهذا يتلاقى مع وصف المؤمن بالليونة والسهولة في قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ استناخ على صخرة " (١) ؛ إذ الليونة والسهولة سبب من أسباب تلقي الأشياء بالقبول ، وهذا الرضا والقبول لما يصيبه من أمراض يكون سببا في تكفير سيئاته ورفع درجاته عند الله تعالى ... هذا بخلاف الكافر فليس فيه الليونة والسهولة بل فيه القسوة واللؤم كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : "الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ " (٢) قَالَ ابْن الْأَثِير : الْمُؤْمِن غِرّ كَرِيم أَيْ لَيْسَ بِذِي مَكْر فَهُوَ يَنْخَدِع لِاتِّقِيَادِهِ وَلِينه وَهُوَ ضِدّ الْخِبّ (٣) .. ، والكافر هُوَ مَنْ كَانَتْ عَادَته الْخبّ وَالدَّهَاء وَالْوُغُول فِي مَعْرِفَة الشَّرّ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ عَقْلًا وَلَكِنَّهُ خِبّ ولؤم اِنْتَهَى (٤) ، ولذلك يقول ابن حجر : . قَالَ الْمُهَلَّب

---

١ - شعب الإيمان للبيهقي ٦ / ٢٧٢ حديث رقم ٨١٢٨ .

٢ - سنن أبي داود ٤ / ٢٥١ حديث رقم ٤٧٩٠ ، مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٩٤ حديث رقم ٩١٠٧ عن أبي هريرة .

٣ - ينظر النهاية في غريب الأثر ٣ / ٦٦١ .

٤ - ينظر عون المعبود ١٣ / ١٠٢ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

: معنى الحديث أنَّ المؤمن حيثُ جاءهُ أمر اللَّه انطاع لهُ ، فإنْ وقع لهُ خير فرح به وشكر ، وإنْ وقع لهُ مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر ، فإذا اندفع عنهُ اعتدل شاكرًا . والكافر لا يتفقد اللَّه باختياره ، بل يخصل لهُ التيسير في الدُّنيا ليتعسَّر عليه الحال في المعاد ، حتى إذا أراد اللَّه إهلاكه قصمهُ فيكون موته أشدَّ عذابًا عليه وأكثر ألمًا في خروج نفسه . وقال غيره : المعنى أنَّ المؤمن يتلقى الأغراض الواقعة عليه لضعف حظه من الدُّنيا ، فهو كأوائل الزَّرع شديد الميلان لضعف ساقه ، والكافر بخلاف ذلك ، وهذا في الغالب من حال الاثنين " (١) .

كما أن التشبيه له غاية أخرى هي بيان ما في الخامة بطبعها من الضعف للحداثة والرقة ، وما للريح فيها من شدة التأثير ، وما لها من ضعف وعجز عن المقاومة ، بخلاف الأرزة يأتي عليها من الريح ما يأتي على الخامة ، ولكنه لا يؤثر فيها كما يؤثر في الخامة ، وكذلك المؤمن هو في ضعفه كالخامة ، فهو سريع التضرر بالبلاء شديد التأثر به .. ، وينبو البلاء عن الكافر كما تنبو الريح عن الأرزة ..

وإذا كانت الرواية هنا ذكرت أن الريح تفيئها مرة أي تميلها أو تكفئها ، فقد ورد في بعض الروايات أن الريح تصرعها .. وقد علل ذلك ابن حجر بقوله : " وَوَقَعَ عِنْد مُسْلِم " تُفَيِّئُهَا الرِّيح تَصْرَعهَا مَرَّة وَتَعْدِلهَا أُخْرَى " وَكَأَنَّ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ حَال الرِّيح : فَإِنْ كَانَتْ شَدِيدَة حَرَّكَتْهَا فَمَالَتْ

١ - فتح الباري ١٠ / ١٠٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى تُقَارِبَ السُّقُوطَ ، وَإِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً أَوْ إِلَى السُّكُونِ أَقْرَبَ أَقَامَتْهَا " (١) وعلى ذلك يكون معنى تصرعها تميلها ميلا شديدا ولا يكون معنى تصرعها تهلكها أو تميتها بدلالة قوله بعد ذلك " وتعدلها أخري " فلو كان معنى " تصرعها " تهلكها لما تأتَّى بعد ذلك اعتدالها واستقامتها .

واختلاف أحوال الريح في جانب المشبه به " الخامة من الزرع " يتلاقى مع اختلاف أحوال المشبه " المؤمن " فكما أن الريح تتفاوت درجتها وقوتها على الخامة فكذلك المؤمن تتفاوت أحواله تبعا لاختلاف كثرة البلاء وقوته .

واختلاف أحوال المؤمن تميل به إلى الله تعالى ؛ إذ كلما أصابه بلاء رجع إلى ربه بالدعاء حتى يكشف عنه البلاء ، هذا بخلاف الكافر فهو وإن اختلفت عليه الأحوال لا يرده ذلك إلى ربه ؛ لأنه أعماه وختم على قلبه فنفسه كالخشب المسندة لا تميل لشيء ، وقلبه كالحجر ؛ بل أشد إذ ليس فيه رطوبة الإيمان كالأرز لا تهتز حتى تحصد بمنجل الموت (٢) .

وهذا يتلاقى مع وصف المنافقين في قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ } [

---

١ - السابق .

٢ - ينظر : فيض القدير ٥ / ٥١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنافقون ٤] أي صلبة جافة لا خير فيها .. فقد شبه المنافقون في استنادهم - وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير - بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع ..(١)

كما يتلاقى مع وصف بني إسرائيل بقساوة القلوب في قوله تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } [البقرة ٧٤] أي : صارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات ، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها أو أشد قسوة من الحجارة ، فإن من الحجارة ما تتفجر منها العيون الجارية بالأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء ..(٢)

ومما يلحظ في هذا التشبيه أن المؤمن حين شبه بالخامة جاء وصف الخامة بأنها تميل أو تميلها الريح .. وحين شبه بالسنبلة جاء وصفها بأنها تخر .. ووصف المشبه به هنا يتلاقى مع نوعيته ، فالخامة نظرا لأنها الغضة الطرية ، أو أوائل الزرع .. كل هذا يلائمه الميل فقط دون الخرور .. ؛ إذ الخرور فيه معنى السقوط من أعلى ، وأوائل الزرع لم تصل بعد إلى العلو ..

---

١ - ينظر : الكشاف ٧ / ٦٤ ، تفسير أبي السعود ٦ / ٣٢٧ .

٢ - ينظر : تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا بخلاف السنبلة فهي تدل على أن الزرع قد وصل إلى النضج وأنه خرج له سنبله ، ومعروف أن السنبلة تكون في أعلى الزرع فيناسبها الخرور ، وكأنها تنزل من أعلى إلى أسفل ، فنزول الجزء الأعلى من الشيء إلى الأرض يسمى خرورا ، ومن ذلك قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا } [الإسراء : ١٠٧] إذ الذقن في أعلى الإنسان .. وعلى ذلك كل استعمال مادة " خر " في القرآن يدور حول النزول من أعلى إلى أسفل ، ومنه قوله تعالى : { فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِم } [النحل : ٢٦] وقوله : { وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }[الحج ٣١].. وهكذا (١) .

وهذا الحديث فيه تعزية للمصابين المنكوبين ومواساة لهم ، ألا فلا ييأس هؤلاء المصابون ولا يحزنوا وليعلموا أنّ كثرة البلاء أمارة على أنهم من المؤمنين { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة ٢١٤].

١ - ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٨٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي هذا التشبيه الجميل جوانب عدة :

- منها أن الأرزة ذات منظر بهيّ وحجم كبير ، أما الخامة من الزرع أ و السنبلة فليس لها هذا المنظر الكبير .
- كذلك نجد الكفار والمنافقين يحرصون على المظهر الخارجي دون أيّ مبالاة بالأشياء الأخرى ، هذا بخلاف المؤمن فهو وإن اهتم بمظهره الخارجي إلا أن اهتمامه بداخله أولى وأكثر ..
- ومنها أن الأرزة في الغالب ذات منظر ولكنّ غناءها الغذائي قليل أو معدوم ، أما السنبلة فإنها تقدم المادة الأولى لغذاء الناس . وكذلك فإن المنافقين والكفار لا خير فيهم لا لأنفسهم ولا لأمتهم في أمور الدين ، بينما الخير كل الخير في المؤمن ودينه .
- ومنها أن الأرزة إذا واجهتها ريح عاصف انجعفت وتحطمت ، أما السنبلة فإن أعتى الرياح لا تنال منها ، غاية الأمر أنها تميلها مرة ثم لا تلبث أن تعتدل .

كذلك المؤمن لا يتحطم أمام النوازل بل يقابلها بصبر وثبات ، أما الكافر فإنه يتحطم وينهار ، وبذلك يكون البقاء للإيمان وأهله ..([1])

---

١ - ينظر في ذلك : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٥٣ بتصرف يسير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ – تشبيه المؤمن بالأترجة والتمرة :

ورد تشبيه المؤمن بالأترجة تارة وبالتمرة تارة أخرى في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه البخاري : " عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ " (١) .

الذي ينظر في سياق هذا الحديث يجد أنه جاء للحديث عن القرآن وبيان فضله ، وكيف إن القرآن يجعل صورة المؤمن حسنة في الظاهر كما هي حسنة في الباطن ، بل إن القرآن يتجاوز تحسين صورة المؤمن إلى تحسين صورة المنافق في الظاهر ؛ إذ إن المنافق بقراءته للقرآن –

---

١ - صحيح البخاري ٤ / ١٩١٧ حديث رقم ٤٧٣٢ ، ٥ / ٢٠٧٠ حديث رقم ٥١١١ ، وينظر صحيح مسلم ١/ ٥٤٩ حديث رقم ٧٩٧ وعمدة القارئ : ٢٠/ ٤٣ ، ٢١/ ٩٤ حديث رقم : ٥٤٢، ٢٥/ ٢٩٩ . [الأترج : قيل هو التفاح ، وقيل هو ثمر طيب الطعم والرائحة يشبه الليمون حامض يسكن شهوة النساء ويجلو اللون والكلف وقشره يمنع السوس . ينظر : الأسماء والصفات للبيهقي ٢ / ١٢٠ ، وعلى اي حال فهو يجمع بين طيب الطعم وحسن الرائحة] .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع فساد باطنه وخبث نيته – تحسن صورته في الظاهر ، وتطيب رائحته حتى تشبه الريحانة ؛ لأن القرآن طيب ، والمنافق ليس له إلا أنفاس التلاوة والقراءة وقت قراءته ، فهذا يحسن ظاهره فقط .. ، وطعمها مر لأن النفاق كفر الباطن ، والحلاوة إنما هي الإيمان فشبهه بالريحانة لكونه لم ينتفع ببركة القرآن ، ولم يفز بحلاوة أجره ، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب (١) ... ولهذا جعل البخاري هذا الحديث في باب فضل القرآن على سائر الكلام ، وعلل ذلك الإمام ابن كثير بقوله : " ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث: أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما ، فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر " (٢) .

هذا بالإضافة إلى أن الحديث فيه بيان لفضل المؤمن من حيث الداخل والخارج ، فهو طيب الداخل دائما وإن بدا في ظاهره ما لا يدل على حسن .. هذا بخلاف المنافق ، ومن باب أولى الكافر فإن باطنهما فاسد أبداً لا خير فيه ، حتى وإن بدا في ظاهرهما ما يدل على حسن ..

والتشبيه هنا جاء للمؤمن في حالتين مختلفتين : الحالة الأولى للمؤمن الذي يقرأ القرآن وهنا جاء تشبيهه بالأترجة ، وهذا فيه دلالة على حسن الظاهر والباطن ؛ ولذا جاء في وصفها " رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ

---

١ - ينظر : فيض القدير ٥ / ٥١٣ .

٢ - تفسير ابن كثير ١ / ٥٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" والحالة الثانية للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن وهنا جاء تشبيهه بالتمرة . وهذا فيه دلالة على حسن الباطن فقط ؛ ولذا جاء في وصفها " لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ " .

ولعل اختيار تشبيه المؤمن الذي يقرأ القرآن وما فيه من حسن الظاهر والباطن بالأترجة دون غيرها من أنواع الطعام مما يشتمل على حسن الطعم والرائحة فيه دلالة على فضل الأترجة على سائر الأطعمة الأخرى ، ويؤيد ذلك أن البخاري روى هذا الحديث مرة في باب فضل القرآن على سائر الكلام – كما مر – وكأن هذا يوحي بفضل الأترجة على سائر الأطعمة كما فضل القرآن على سائر الكلام ..

ورواه مرة أخرى في باب ذكر الطعام ، والعجيب أن البخاري في هذا الباب لم يذكر من أنواع الأطعمة إلا نوعين فقط ، هذا الحديث وذكر فيه الأترجة والحديث الثاني قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أنس بن مالك – رضي الله عنه – : " فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " (١) وذكر فيه الثريد ، وهذا يوحي بأن الأترجة لها فضل على سائر الطعام كما أن الثريد له فضل على سائر الطعام ، وإلا لما كان هناك مسوغ للجمع بينهما وذكرهما متعاقبين بلا فاصل بينهما ، والاقتصار عليهما ..

---

١ - صحيح البخاري ٥ / ٢٠ ٧٠ حديث رقم ٥١١٢ وعمدة القائ ٢١/ ٩٣ باب ذكر الطعام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما يدل على فضل الأترجة ما روي في كثرة منافعها حيث قال ابن حجر : " الْحِكْمَة فِي تَخْصِيص الْأُتْرُجَّة بِالتَّمْثِيلِ دُون غَيْرهَا مِنْ الْفَاكِهَة الَّتِي تَجْمَع طِيب الطَّعْم وَالرِّيح كَالتُّفَّاحَة ؛ لِأَنَّهُ يُتَدَاوَى بِقِشْرِهَا وَهُوَ مُفْرِح بِالْخَاصِّيَّةِ ، وَيُسْتَخْرَج مِنْ حَبِّهَا دُهْن لَهُ مَنَافِع، وَقِيلَ : إِنَّ الْجِنّ لَا تَقْرَب الْبَيْت الَّذِي فِيهِ الْأُتْرُجّ ، فَنَاسَبَ أَنْ يُمَثَّل بِهِ الْقُرْآن الَّذِي لَا تَقْرَبهُ الشَّيَاطِين ، وَغِلَاف حَبّه أَبْيَض فَيُنَاسِب قَلْب الْمُؤْمِن ، وَفِيهَا أَيْضًا مِنْ الْمَزَايَا كِبَر جِرْمهَا وَحُسْن مَنْظَرهَا وَتَفْرِيح لَوْنهَا وَلِين مَلْمَسهَا ، وَفِي أَكْلهَا مَعَ الِالْتِذَاذ طِيب نَكْهَة وَدِبَاغ مَعِدَة وَجَوْدَة هَضْم ، وَلَهَا مَنَافِع أُخْرَى مَذْكُورَة فِي الْمُفْرَدَات "([1]) .

وهذه المنافع ذكرها المناوي في فيض القدير بقوله : " ريحها طيب ، وطعمها طيب ، وجرمها كبير، ومنظرها حسن ، إذ هي صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، وملمسها لين تشرف إليها النفس قبل أكلها ، ويفيد أكلها بعد الالتذاذ بمذاقها طيب نكهة ودباغ معدة وقوة هضم ، فاشتركت فيها الحواس الأربعة البصر والذوق والشم واللمس في الاحتظاء بها ، ثم هي في أجزائها تنقسم إلى طبائع فقشرها حار يابس يمنع السوس من الثياب ، ولحمها حار رطب ، وحماضها بارد يابس يسكن غلمة النساء ، ويجلو اللون والكلف ، وبزرها حار مجفف فهي أفضل ما وجد من الثمار

---

١ - فتح الباري ٩ / ٦٦ وينظر عمدة القاريء ٤٤/٢٠ حديث رقم : ٥٠٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في سائر البلدان ... يداوى بقشرها ويستخرج من جلدها دهن ومنافع وهي أفضل ثمار العرب " (١) .

كما أن تشبيه المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة فيه دلالة على فضل التمر ، فهو غذاء متكامل يكفي في غذاء الجسد ؛ وليس أدل على ذلك من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يأتي عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيته نار ، وإنما كان يعيش على التمر والماء ، كما جاء ذلك في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم " عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ : ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَارٌ فَقُلْتُ : يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ .. ." (٢) فالتمر لا ينقصه سوى الرائحة الطيبة التي تكون في الأترجة ، والحديث عن التمر وبيان فضله معروف لا يحتاج إلى زيادة توضيح .

وبالتأمل في هذا التشبيه الجميل يتبين لنا جوانب عدة منها :

– أنّ الحديثَ خَصَّ صِفَةَ الْإِيمَانِ بِالطَّعْمِ وَصِفَةَ التِّلَاوَةِ بِالرِّيحِ ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ أَلْزَمُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ إِذْ يُمْكِنُ حُصُولُ الْإِيمَانِ بِدُونِ

---

١ - فيض القدير ٥ / ٥١٣ ، وفي زاد المعاد ٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١ ذكر الكثير من فوائد الأترجة .

٢ - صحيح البخاري ٢ / ٧٠٩ حديث رقم ٢٤٢٨ ، صحيح مسلم ٤ / ٢٢٨٣ حديث رقم ٢٩٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القراءة ، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه ..(١)

- لعل السر في تشبيه الإيمان بالطعم الطيب كونه خيرا باطنيا لا يظهر لكل أحد ، والقرآن بالريح الطيب ؛ لكونه ينتفع بسماعه كل أحد ويظهر سمحا لكل سامع والله تعالى أعلم (٢) .
- أن التمثيل جاء بما يخرجه الشجر للمشابهة بينه وبين الأعمال فكما أن الأترجة والتمرة من ثمرات الأشجار ، كذلك تلاوة القران من ثمرات القلوب المؤمنة .
- أن ضرب مثل المؤمن بما يخرجه الشجر ومثل الكافر مما تنبته الأرض تنبيه على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ، وانحطاط شأن المنافق وإحباط عمله .
- أن الشجر المثمر لا يخلو عمن يغرسه ويسقيه ويهتم به في مختلف الأزمان ، وكذا المؤمن يقيض الله له من يعلمه ويهديه ويرشده إلى طريق الخير .. وليس كذلك الحنظلة المهملة المتروكة فليس هناك من يهتم بها أو يقوم على أمرها ، وكذا الكافر والمنافق فليس لهما من يدلهما إلى عمل الخيرات (٣) .

---

١ - ينظر : فتح الباري ٩ / ٦٦ .

٢ - ينظر : حاشية السندي على سنن ابن ماجة ٨ / ١٢٥ .

٣ - ينظر في ذلك : فيض القدير ٥ / ٥١٣ والمثل السائر ٣٨٨/١ باب التشبيه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : تشبيه المؤمن بالحيوان :

كما جاء تشبيه المؤمن بالزروع والثمار فيما سبق ، جاء أيضا تشبيه المؤمن بالحيوان .. فجاء تشبيه المؤمن بالجمل في موضع ، وبالفرس في موضع آخر ، وكل موضع له سياقه الخاص به الذي لا يصح فيه غيره .. وتشبيه المؤمن بالحيوان ليس فيه حط من قيمة المؤمن أو إنقاص لقدره ؛ إذ ليس المقصود فيه التماثل التام بين الإنسان والحيوان ، وإنما هو تماثل في جانب واحد فقط ، وهو أفضل جانب في هذا الحيوان المختار للتشبيه به .. كما في الطاعة والانقياد في الجمل والقوة والسرعة في الفرس ..

١ – تشبيه المؤمن بالجمل :

جاء تشبيه المؤمن بالجمل فيما يرويه ابن ماجة عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ :

" وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انقاد " (١) . وزاد البيهقي في شعب الإيمان : " وإن أنيخ استناخ على صخرة " (٢) .

جاء هذا التشبيه في سياق حث المؤمن على الطاعة والخضوع لولي الأمر ، وعدم التمرد عليه مهما كان ولي الأمر ؛ ولذلك جاء تشبيه المؤمن بالجمل ، وقيد الجمل بأنه " أنف " والأَنِفُ الذي عَقَره الخِطامُ وإن كان من خشاشٍ أَو بُرةٍ أَو خِزامةٍ في أَنفه ، فمعناه أنه ليس يمتنع على قائده في شيء للوجع فهو ذَلُولٌ منقاد (٣) ، أَيْ الَّذِي جُعِلَ الزِّمَام فِي أَنْفه فَيَجُرّهُ مَنْ يَشَاء مِنْ صَغِير وَكَبِير إِلَى حَيْثُ يَشَاء (٤) ، ومن شأن الجمل إذا كان في تلك الحالة أنه يطيع إلى كل ما يريده منه ، ولا يمتنع عليه في أي أمر .. فالقيد هنا له فائدته في تحقيق الغرض المسوق له التشبيه .

---

١ - سنن ابن ماجة ١ / ١٦ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ١٢٦ وأخرجه الترمذي في العلم حديث رقم : ٢٦٧٦ وأبو داود في السنة : رقم : ٤٦٠ والخطابي في معالم السنن : ٤/ ٢ حديث رقم : ١٦٤٠وابن ماجة في سننه ٤٥/١ رقم ٤٣طبعة دار الحديث .

٢ - شعب الإيمان ٦ / ٢٧٢ .

٣ - ينظر : لسان العرب ٩ / ١٢ " أنف " ، تاج العروس ١ / ٥٧٢٨ " أنف " .

٤ - ينظر : حاشية السندي ١ / ٣٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووجه الشبه في هذا التشبيه هو الطاعة والانقياد في كل ، فالمؤمن سهل يقضي حوائج الناس ويخدمهم ، وشديد الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه ، ومن ذلك الانقياد للحاكم فيما لا يخالف ما شرعه الله تعالى .. وكذا الجمل شديد الانقياد لصاحبه .. وقيل : الجَمَلُ الأَنِفُ : الذَّلِيلُ المُؤَاتِي الذِي يَأْنَفُ مِن الزَّجَرِ والضَّرْبِ ويُعْطِي ما عندَه من السَّيْرِ عَفْواً سَهْلاً كذلكَ المُؤْمِنُ لا يَحْتَاجُ إِلَى زَجْرٍ ولا عِتَابٍ وما لَزِمَهُ مِن حَقٍّ صَبَرَ عليه وقامَ به (١) .

والزيادة التي زادها البيهقي " وإن أنيخ استناخ على صخرة " تتلاقي مع غرض التشبيه في تقرير الانقياد في كل من المؤمن والجمل ؛ إذ هذا الوصف يدل على غاية الانقياد في جانب المشبه به " الجمل الأنف " وأنك إذا أنخته على صخرة انقاد لك واستناخ مع شدة الاستناخة على الصخرة وصعوبتها ..

ولعل السر في اختيار المشبه به هنا " الجمل الأنف " إذ الجمل من أكثر الحيوانات انقيادا لصاحبه ، وهذا أمر معروف عند عامة العرب ، بخلاف الفرس مثلا فليس فيه الانقياد الموجود في الجمل ..

فضلا عن ذلك فإن الجمل فيه من القوة والشدة والعظم ما فيه ، ومع ذلك ينقاد لمن هو أضعف منه ، فهو انقياد مع قوة وعزة ، وليس انقيادا

---

١ - ينظر : لسان العرب ٩ / ١٢ " أنف " ، تاج العروس ١ / ٥٧٢٨ " أنف " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن ضعف ومذلة .. وكذا المؤمن مع ما فيه من قوة وشدة ومتانة في الدين ... مع ذلك ينقاد ويطيع من تولى عليه وإن كان عبدا حبشيا كما جاء في هذا الحديث ، أي وإن بدا في ظاهره الضعف ، ولكن مع ذلك تجب طاعته و الانقياد له ..

وهذا يتلاقى مع وصف الله للمؤمنين في قوله تعالى : { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } [المائدة ٥٤] وقوله : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩] فهذه صفات المؤمنين الكُمَّل ؛ أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه ، متعززًا على خصمه وعدوه ، فالمؤمنون مع قوتهم وشدتهم وعزتهم ..إلا أنهم أذلة بعضهم لبعض ، يرحم بعضهم بعضا ، ومن باب أولى ظهور الانقياد والطاعة لولي الأمر ..

وهذا التشبه يوحي بعدة أشياء منها :

- أن اللين في جانب المؤمن المراد منه اللين في أمر دنياه ومهمات نفسه ، أما في أمر دينه فكما قال عمر : فصرت في الدين أصلب من الحجر ، وقال بعض السلف : الجبل يمكن أن ينحت منه ولا ينحت من دين المؤمن شيء ، واللين لين الجانب وسهولة الانقياد إلى الخير والمسامحة في المعاملة (١) .

---

١ - ينظر : فيض القدير ٦ / ٢٥٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أن لين الخلق وسهولته من الأخلاق الحسنة المحمودة ، وهذا يتلاقى مع وصف الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بقوله : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آل عمران ١٥٩]

- هذا التشبيه فيه دلالة على أن الطاعة والانقياد لولي الأمر من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وسنته التي ينبغي التمسك بها ، وأن الزيغ والضلال والتمزق في الخروج عن طاعة ولي الأمر ..

٢ – تشبيه المؤمن بالفرس :

ورد تشبيه المؤمن بالفرس في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ :

" مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ عَلَى آخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ " (١) .

---

١ - مسند الإمام أحمد ٣ / ٣٨ حديث رقم ١١٣٥٣ ، ٥٥ حديث رقم ١١٥٤٣ ، صحيح ابن حبان ٢ / ٣٨١ حديث رقم ٦١٦ . والآخية بمد الهمزة وكسر الخاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورد هذا التشبيه في سياق الحديث عن التوبة والرجوع إلى الله – تعالى –، فكما أن الفرس المربوط في آخيته يجول يمينا ويسارا ولكنه لا يخرج عن مكانه الذي ربط فيه وشُدّ إليه .. كذا المؤمن يسهو فيقع في الذنوب والمعاصي ولكنه لا يخرج عن إيمانه ، بل يتذكر فيتوب ويرجع إلى ربه ..ولذا قال العلماء : " إن المؤمن يَسْهو ثم يرجع إلى الإيمان " أي : إن المؤمن يبعُد عن رَبِّه بالذُّنوب وأَصلُ إيمانه ثابت (١) .

ولعل السر في اختيار الفرس في هذا السياق أن الفرس معروف بسرعته ، فكأنه يسرع في الجولان ويسرع أيضا في الرجوع إلى آخيته ، ومما يدل على ذلك اقتران الفرس بالبرق والريح والطير في بيان سرعة المرور على الصراط يوم القيامة في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا [أي على الخشبة التي تكون على ظهر جهنم] كَالطِّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا "(٢) .

المعجمة : حبل يدفن في الأرض مثنيا ويبرز منه كالعروة تشد إليها الدابة ، وقيل : هو عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة .

١ - ينظر : لسان العرب ١٤ / ١٩ " أخا " .

٢ - صحيح البخاري ٦ / ٢٧٠٧ حديث رقم ٧٠٠١ ، صحيح مسلم ١ / ١٦٩ حديث رقم ١٨٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكذا المؤمن إذا سها فوقع في الذنب ينبغي عليه أن يسرع في التوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وهذا يتلاقي مع كثير من آيات القرآن التي تدعو إلى الإسراع في التوبة وعدم التمادي في الذنوب والآثام ومن ذلك قوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء ١٧] وقوله : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦] وقوله : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ } [الزمر ٥٣ ، ٥٤] وغير ذلك كثير من الآيات التي تدعو المؤمن إلى التوبة وتبين له أنه إذا تاب وأناب إلى ربه تاب الله عليه ..

فهذا الحديث يبين أن المؤمن لا يحمله الزلل على الانقطاع عن الخير واليأس من رحمة الله – تعالى – ، ولا يوغل في طريق الشر .. من أجل ذلك تراه أوّاباً سريع العودة إلى الله عز وجل ... وقد عبر الرسول الكريم عن ذلك بهذه الصورة الجميلة : المؤمن كالفرس في آخيته يجول ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجول ثم يعود إلى حيث كان .. لأنه ربط نفسه بعقيدة فلا ينطلق في مجالات الغواية ، ولا يوغل في طريق الإثم والمعصية .. إنه رجاع إلى الله .. يسهو ويزل ويخطئ ويعصي ولكنه يرجع إلى الإيمان ..(١)

١ - ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : تشبيه المؤمن بالجماد

ورد تشبيه المؤمن بالجماد في أكثر من موضع ، حيث شبه مرة بالبنيان ، وأخرى بالمرآة ، وثالثة بالذهب ، وكل موضع من هذه المواضع له سياقه الخاص به .. وتشبيه الإنسان بالجماد ليس فيه – أيضا – إنقاص لقدر المؤمن أو حط لمنزلته ؛ لأنه ليس المقصود المماثلة التامة بينهما كما أشار إلى شيء من ذلك ابن حجر بقوله : " ضَرْب الْأَمْثَال وَالْأَشْبَاه لِزِيَادَةِ الْإِفْهَام ، وَتَصْوِير الْمَعَانِي لِتَرْسَخ فِي الذِّهْن ، وَلِتَحْدِيدِ الْفِكْر فِي النَّظَر فِي حُكْم الْحَادِثَة . وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ تَشْبِيه الشَّيْء بِالشَّيْءِ لَا يَلْزَم أَنْ يَكُون نَظِيره مِنْ جَمِيع وُجُوهه ، فَإِنَّ الْمُؤْمِن لَا يُمَاثِلهُ شَيْء مِنْ الْجَمَادَات وَلَا يُعَادِلهُ " (١) .

١ – تشبيه المؤمن بالبنيان :

ورد تشبيه المؤمن بالبنيان في الحديث الذي يرويه البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

---

١ - فتح الباري : ١ / ١٤٥وعمدة القارئ ٣٨٩/٤ حديث رقم : ٤٨١، ٤٢٨/١٢ برقم ٢٤٤٦، وشرح صحيح مسلم للنووي : ٨/ ١٩٢، ورياض الصالحين هامش : ٤٤٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ " (١) .

ورد هذا الحديث في سياق الحث على التعاون والتآزر بين المؤمنين ، وأخذ بعضهم بأيدي بعض ، وإيصال النفع للآخرين .. ومما يؤيد ذلك ما جاء في بعض الراويات من ذكر سبب الحديث ؛ فقد ورد في إحدى روايات البخاري : "وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ " (٢) فكون ذلك الرجل جاء سائلا هو الذي دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى حث المؤمنين على التعاون ، وأنهم ينبغي لهم أن يكونوا متماسكين تماسك البنيان المشدود بعضه إلى بعض ..

ولذا فإن البخاري جعله في " بَاب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا " وفي " بَاب نَصْرِ الْمَظْلُومِ " ، ولا شك أن نصر المظلوم من التعاون على البر والخير .. كما جعله الإمام مسلم في " بَاب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ " .

---

١ - صحيح البخاري ١ / ١٨٢ حديث رقم ٤٦٧ ، ٢ / ٨٦٣ حديث رقم ٢٣١٤ ، ٥ / ٢٢٤٣ حديث رقم ٥٦٨٠ ، صحيح مسلم ٤ / ١٩٩٩ حديث رقم ٢٥٨٥ وسنن النسائي ٣/ ٣٤ حديث رقم : ٢٥٥٩ طبعة دار الحديث . .

٢ - صحيح البخاري ٥ / ٢٢٤٣ حديث رقم ٥٦٨٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما يؤيد أن الحديث فيه حث على التعاون وإيصال النفع للآخرين رواية الإمام أحمد في مسنده عن أبي موسى أيضا : الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَطَّارِ إِنْ لَمْ يُحْذِكَ مِنْ عِطْرِهِ عَلِقَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ الْكِيرِ إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ نَالَكَ مِنْ شَرَرِهِ " (١) .

فالإمام أحمد في هذه الرواية ربط بين تعاون المؤمنين بعضهم لبعض وبين الجليس الصالح والجليس السوء ، فكل من الجليسين يوصل ما عنده للآخر خيرا كان أو شرا ..

والتشبيه في هذا الحديث لم يأت للمؤمن منفردا وإنما جاء تشبيه المؤمن بالنسبة للمؤمن ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ " فالمشبه المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن ، والمشبه به " " البنيان " وقوله : " يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " بيان وتوضيح لوجه الشبه من التقوّي بالآخرين ، فكما أن البنيان يتقوى إذا شُدَّ بعضه إلى بعض ، كذا أيضا المؤمنون يُقَوِّي بعضهم بعضا ..

فالإنسان ضعيف بنفسه ، قوي بإخوانه ، إنه عاجز عن أن يحقق كل شيء يريده لنفسه أو لأمته ، وغير قادر على مواجهة قوى الشر العاتية

---

١ - المسند ٤ / ٤٠٤ عن أبي موسى وينظر : عمدة القارئ : ٢٢/ ١٧٧ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي تتربص به وبدينه وإخوانه ، وغير قادر وحده أن يصنع كثيرا مما يجب أن يتحقق ..

ولكنه مع أخيه المؤمن قوي يستطيع أن يفعل الكثير ، وأن يحقق لدنيا ما يود من مثل الحق والعدالة والإحسان .

فهو كالبنيان يشد بعضه بعضا .. إنّ جدارا واحدا لا يستطيع أن يبقى منتصبا ثابتا لمدة طويلة .. بل تراه أكثر تأثرا بعوامل الطبيعة من الرياح العاصفة ، والأمطار الثجاجة ، وفعل الناس المستمر من استناد إليه وارتطام به وربط للحيوان به .. فلا تلبث أنْ تراه ينقضّ ويقع إلى الأرض ، ولكن هذا الجدار عندما ينضم إلى جدران وسقف وبيوت من عن يمينه ويساره يكون أكثر قوة واحتمالا ورسوخا وثباتا .. إن ذلك يعطيه قوة ومقاومة وشدة ..(١)

والتشبيه في هذا الحديث يوحي بأن المؤمنين ينبغي لهم أن يكونوا **متحابين متراحمين متعاطفين** ، يحب كل منهم للآخر ما يحب لنفسه ، **ويسعى في ذلك ، وأن عليهم** مراعاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم **كلهم ، وأن يكونوا على هذا الوصف** ، فإن البنيان المجموع من أساسات **وحيطان وحيطان تحيط بالمنازل** ، وما تتضمنه من سقوف وأبواب **ومصالح ومنافع ، كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها إلى**

١ - ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض . كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك ، فيراعوا قيام دينهم وشرائعه وما يقوّم ذلك ويقويه ، ويزيل موانعه وعوارضه (١) .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث الشريف لم يكتف في الحث على التعاون بالقول فقط في تشبيه المؤمن للمؤمن بالبنيان ، وإنما تجاوز ذلك إلى تمثيله وتوضيحه بالحركات وذلك في تشبيكه صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ، وهو بذلك أخرج الصورة إلى أمر محسوس مشاهد لا ينكر ، مع ما فيه من دلالة على التداخل التام والاتحاد التام .. وهذا أوقع في نفس السامع ..." وهذا التشبيك من النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث كان لمصلحة وفائدة ، لم يكن عبثا ؛ فإنه لما شبه شد المؤمنين بعضهم بعضا بالبنيان ، كان ذلك تشبيها بالقول ، ثم أوضحه بالفعل ، فشبك أصابعه بعضها في بعض ؛ ليتأكد بذلك المثال الذي ضربه لهم بقوله ، ويزداد بيانا وظهورا .

ويفهم من تشبيكه : أن تعاضد المؤمنين بينهم كتشبيك الأصابع بعضها في بعض ، فكما أن أصابع اليدين متعددة فهي ترجع إلى أصل واحد ورجل واحد ، فكذلك المؤمنون وإن تعددت أشخاصهم فهم يرجعون إلى أصل واحد ، وتجمعهم أخوة النسب إلى آدم ونوح ، وأخوة الإيمان " (٢).

---

١ - ينظر : بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ١ / ٤٨ لعبد الرحمن بن ناصر السعدي الطبعة : الرابعة ، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية : ١٤٢٣هـ .

٢ - فتح الباري لابن رجب ٣ / ٢٩١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتشبيك الأصابع هنا يقوي جانب المشبه والمشبه به معا ، فكما أن فيه بيانا لتعاضد المؤمنين بعضهم ببعض ، فكذا البنيان المشبك بعضه بعضا يشد بعضه بعضا ؛ وذلك لأن أقواهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي فإذا والاه قوي بما بباطنه (١) .

وكون المؤمن يقوى بأخيه المؤمن - كما بينه هذا التشبيه - يتلاقى مع ما ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى في مخاطبة سيدنا موسى - عليه السلام - : { قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ } [القصص:٣٥] أي: سنقوي أمرك، ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبيا معك ..فانظر إلى تَقَوِّي موسى - عليه السلام - بأخيه ، وكيف إنه بهذا التقَوِّي يقف أمام أعدائه فلا يصلون إليهما .. وهذا جاء استجابة لطلب موسى - عليه السلام - في قوله : { وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } [طه : ٢٩ -٣٢] أي: يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم، وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ؛ ولهذا قال: { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي } [القصص ٣٤] ، أي: وزيرًا ومعينًا ومقويًّا لأمري، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل ؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر

---

١ - ينظر : فيض القدير ٦ / ٢٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحد ؛ ولهذا قال: { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ } (١) ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } [الصف ٤]

وهذا التشبيه فيه دلالة على أن المعلم إذا أراد المبالغة في البيان يمثل أقواله بالحركات ليكون أوقع في نفس المتلقي .. ، كما أن فيه تفضيل الاجتماع على الانفراد ومدح الاتصال على الانفصال فإن البنيان إذا تفاصل بطل ، وإذا اتصل ثبت الانتفاع به بكل ما يراد منه (٢) .

٢ – تشبيه المؤمن بالمرآة :

ورد تشبيه المؤمن بالمرآة فيما يرويه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ " (٣) .

---

١ - تفسير ابن كثير ٦ / ٢٣٦ .

٢ - ينظر : فيض القدير ٦ / ٢٥٢ .

٣ - سنن أبي داود ٤ / ٢٨٠ حديث رقم ٤٩١٨ ،وينظر : الأدب المفرد للبخاري ١ / ٩٣ حديث رقم ٢٣٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٦٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ " (١) .

ورد هذا الحديث في سياق الحث على التعاون بين المؤمنين ؛ ولذا قرنه كثير من رواة الأحاديث بالحديث السابق : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ " وبقوله : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (٢) .

وتشبيه المؤمن بالمرآة هنا له سياقه الخاص به الذي لا يصلح فيه التشبيه بالبنيان أو الجسد الواحد أو غيرهما مما يدل على التعاون بين المؤمنين ؛ إذ المقصود هنا هو إرشاد المؤمن أخاه المؤمن إلى عيوبه وإصلاحه لهذه العيوب ، وليس هناك أفضل مما يدل المؤمن على عيوبه من المرآة فإذا نظر فيها المؤمن ورأى عيبا أصلحه ، فينبغي أن يكون المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن مرآته التي يرى فيها عيوبه فيصلحها ... وكأن المؤمن هنا هو الذي يرى عيوبه بنفسه وليس غيره هو الذي يدله

---

١ - سنن الترمذي ٤ / ٣٢٥ حديث رقم ١٩٢٩ .

٢ - ينظر : سنن الترمذي ٤ / ٣٢٥ ، سنن البيهقي ٨ / ١٦٧ ، فيض القدير ٦ / ٢٥١، ٢٥٢ ، جامع العلوم والحكم ١ / ٣٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها ، وهذا أدعى على ستر العيب وإصلاحه ... ، فهذا السياق الخاص هو الذي استدعى المشبه به " المرآة " دون غيرها ..

فالمؤمن هنا أصبح مرآة أي :آلة لإراءة محاسن أخيه ومعايبه ، لكن بينه وبينه فإن النصيحة في الملأ فضيحة ، وأيضا هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه ، كما يُرْسَم في المرآة ما هو مختفٍ عن صاحبه فيراه فيها ، أي إنما يعلم الشخص عيب نفسه بإعلام أخيه ، كما يعلم خلل نفسه من المرآة فإن رأى أحدكم بأخيه أذى أي عيبا مما يؤذيه أو يؤذي غيره فليمطه ، والمعنى فليزل ذلك الأذى عنه أي عن أخيه إما بإعلامه حتى يتركه ، أو بالدعاء له حتى يرفع عنه ..(١)

والظاهر أن المراد بالأذى : الحسي والمعنوي أيضا ، فيشمل ما لو رأى بعِرْضِه ما يشينه فيزيله عنه بإرشاده له إلى ذلك ، أي إن المؤمن في إراءة عيب أخيه إليه كالمرأة المجلوة التي تحكي كل ما ارتسم فيها من الصور ولو كان أدنى شيء ، فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء حاله تعريفات وتلويحات ، فإذا ظهر له منه عيب قادح كافحه فإن رجع صادقه (٢) .. هكذا ينبغي أن يكون المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن .

وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ " ليس المعنى على إثباته مِرآةً من حيث الجسم الصَّقيل ، لكن من حيث الشَّبه

١ - ينظر : تحفة الأحوذي ٦ / ٤٧ بتصرف .
٢ - ينظر : فيض القدير ٢ / ٤١٦ ، ٦ / ٢٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعقول، وهو كونها سبباً للعلم بما لولاها لم يعلَم ؛ لأن ذلك العلم طريقه الرؤية ، ولا سبيل إلى أن يرى الإنسان وجهَه إلا بالمرآة وما جرى مجراها من الأجسام الصَّقيلة ، فقد جمع بين المؤمن والمرآة في صفة معقولة ، وهي أن المؤمن ينصَح أخاه ويُريه الحسَن من القبيح ، كما ترى المرآةُ الناظرَ فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخلافه (١) .

٣ - تشبيه المؤمن بالذهب :

ورد تشبيه المؤمن بالذهب في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد في مسنده عن عبد اللَّه بن عَمْرِو بنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ ، وَسُوءُ الْجِوَارِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغَيَّرْ وَلَمْ تَنْقُصْ " (٢) .

---

١ - ينظر : أسرار البلاغة ٢٧٤ .

٢ - مسند الإمام أحمد ٢/ ١٩٩ حديث رقم ٦٨٧٢ ، المستدرك على الصحيحين ١/ ١٤٧ حديث رقم ٢٥٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورد هذا الحديث لبيان أن المؤمن يظل ثابتا على أصله لا تغيره الأيام أو الليالي وذلك لصفاء جوهره ، ونفاسة معدنه ، ونقاء قلبه من الأدران .. وقد ذكر الرامهرمزي في أمثال الحديث : أن هذا مثل للمؤمن في صحة عقده وعهده ، وسره وعلانيته ، وسائر أحواله ، ومثل بالقطعة من الذهب تسبك فيعود وزنها مثله قبل سبكها ؛ لصفائها وخلوص جوهرها ؛ لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث ، ولا يقبل الصدأ ، ولا تنقصه النار ولا يغيره مرور الأوقات ، وكذلك المؤمن في حال منشطه ومكرهه ، وعسره ويسره على بينة من ربه ويقين من أمره ، لا ينقصه الاختبار ، ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق الأحوال .. والذهب أسنى الجوهر وأشرفه ، ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه وخطره : كأنه الإبريز الخالص وما هو إلا الذهب الأحمر..(١)

فلهذا الغرض – بيان ثبات المؤمن على عقيدته وأنه لا تغيره الأوقات – شبه المؤمن بالقطعة من الذهب ، وذلك لأن الذهب من أظهر الأشياء في الثبات على أصلها وعدم تغيرها تبعا لتغير الزمن ، ولا يصح في هذا السياق أن يشبه المؤمن بغير الذهب من المعادن لأن الغالب فيها التغير

---

١ - ينظر : أمثال الحديث للرامهرمزي ١ / ٦٧ تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، وقال الأستاذ محمود شاكر - رحمه الله - : رواه أبو داود في باب النصيحة والمبادلة من حديث أبي هريرة ، ورواه الترمذي . . هامش صـ : ٢٧٤من أسرار البلاغة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتبدل بتغير الزمن وتبدله .. فالتشبيه هنا ملائم للسياق والمقام الذي جاء لأجله التشبيه .

وقد وصف المشبه به هنا " القطعة من الذهب" بما يلائم الغرض المسوق له الكلام ، فقد وصفت بأنه نفخ عليها صاحبها في النار ومع ذلك لم تتغير ولم تنقص .. وكأن القطعة من الذهب لم تترك على حالها دون تمحيص لها ، بل اختبر معدنها بوضعه في النار ، ليس هذا فقط ، بل والنفخ على النار حتى تشتد حرارتها ويقوى إحراقها .. حتى تخلص ذلك المعدن مما لحق به من غير أصله ، ومع كل ذلك بقيت القطعة من الذهب كما هي قبل وضعها في النار فلم تتغير عما كانت عليه من قبل ، كما أنها لم ينقص وزنها بل ظلت كما هي ، وهذا يدل على أن النار لم تؤثر فيها شيئا لا في ظاهرها ولا في وزنها ومقدارها ..

وكذا المؤمن مع ما يأتي عليه من تغير الأوقات واختلاف الأزمان ، وتعرضه للابتلاء والاختبار .. إلا أنه يظل ثابتا على إيمانه ، لا يتغير لا في ظاهره ولا في باطنه .. وذلك لأن إيمانه حق ، وقد ذكر الله تعالى أن الحق لا تؤثر فيه النار ، بل يظل كما هو دون تغيير كما في قوله تعالى : { وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } [الرعد ١٧] يقول ابن كثير : " اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه ... وقوله: { وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ }

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا هو المثل الثاني ، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة { ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ } أي: ليجعل حلية أو نحاسا أو حديدًا ، فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه. { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ } أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل ؛ ولهذا قال: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً } أي : لا ينتفع به ، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح ، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ، لا يرجع منه شيء ، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به ؛ ولهذا قال: { وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } " (١) .

رابعا : تشبيه المؤمن بالجسد وأجزائه

ورد تشبيه المؤمن تارة بالجسد ، وتارة بالرأس من الجسد ، وتارة باليدين .. وكل من هذه التشبيهات له سياقه الخاص به الذي لا يصح فيه أن يوضع أحدها في موضع الآخر ..

١ - تفسير ابن كثير ٤ / ٤٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - تشبيه المؤمن بالجسد :

ورد تشبيه المؤمن بالجسد في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد في مسنده عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ - : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى الرَّجُلُ رَأْسَهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ " (١) .

وروي في البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ -أيضا - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ - " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (٢) .

ورد هذا الحديث الشريف في سياق الحث على التعاطف والتراحم والتواصل بين المؤمنين ؛ ولذا فإن البخاري وضعه في باب رحمة الناس والبهائم ، وذكر معه حديث الرجل الذي وجد كلبا يأكل الثرى من العطش فنزل بئرا وملأ خفه وسقى الكلب فشكر الله له وغفر له ... فإذا كان هذا الجزاء لمن رحم كلبا فما بالنا بمن رحم إنسانا مؤمنا مُقِرًّا بوحدانية الله تعالى ؟ !

---

١ - مسند الإمام أحمد ٤ / ٢٦٨ عن النعمان بن بشير ، وهو حديث صحيح

٢ - صحيح البخاري ٥ / ٢٢٣٨ حديث رقم ٥٦٦٥ وعمدة القارئ : ٢٢/ ١٦٤ حديث رقم ٦٠١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا كان الحديث عن الرجل مع الكلب فيه حث على التراحم بالحيوان ، ففيه من باب أولى حث على تراحم الناس فيما بينهم ، والتراحم بين المؤمنين أولى وأولى ..

ورواية الإمام أحمد جاءت بالإفراد " المؤمن " فهي تشبه المؤمن بالجسد ، وليس المقصود فيها تشبيه المؤمن في ذاته وبذاته وإنما هي لتشبيه المؤمن مع غيره من المؤمنين ، فالمؤمن في تواصله وتراحمه وتداخله مع بقية المؤمنين كالجسد الواحد في اتصال بعضه ببعض وتألم بعضه لألم بعض .. وبذلك تتلاقى هذه الرواية مع رواية الجمع " المؤمنين " عند البخاري ، ويؤيد ذلك رواية أخرى عند الإمام أحمد جاء فيها : " عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ سُرَيْجٌ فِي حَدِيثِهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا أَلِمَ بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ " (١) .

وفي رواية لمسلم : " عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِن اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ" وفي رواية أخرى : " عَنِ النُّعْمَانِ بنِ

١ - مسند الإمام أحمد ٤ / ٢٧٤ عن النعمان بن بشير ، وينظر حديث رقم ٢٥٨٥ جـ ٨/ ١٩٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله " (١) .

وهذه الرواية تحدد العضو المتألم من الجسد وهو العين في الرواية الأولى ، والعين والرأس في الرواية الثانية ، وهذان العضوان لهما أهميتهما ومنزلتهما بالنسبة لبقية الأعضاء ، خاصة الرأس فهو من أهم الأعضاء ويكفي أن الإنسان لا يحيا بدونه ؛ ولذا جاء في بعض الأحاديث تشبيه المؤمن بالرأس كما سيأتي بعد قليل ..

وفي هذه الرواية أن أعضاء البدن كلها وإن لم تكن متساوية في الأهمية فهي متساوية من حيث تألم الجسد لحلول أي ضرر بها ، فالأصبع والظفر والعين واليد والرأس .. كل أولئك إذا حصل لها مكروه تألم صاحبها وسهر من أجل ذلك .. وهكذا فليس هناك عضو في المجتمع الإسلامي مهما كان شأنه هينا لا تتأثر الأمة من أجل ضُرٍ أصابه ، إنهم لا بد أن يتألموا لأنهم جسد واحد ، وهذا يدل على أنهم أحياء ، أما إنْ لم يبالوا فمعنى ذلك أنهم مصابون بشلل أو حل بهم الموت ..(٢)

---

١ - صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٠ حديث رقم ٢٥ ٨٦ وحديث رقم : ٦٥٣١ جـ ٨/ ١٩٣.

٢ - ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه الروايات على الرغم من تعددها إلا أنها تلتقي في أنها جميعا تشبه المؤمن مع بقية المؤمنين ، أو تشبه المؤمنين بعضهم مع بعض في التوادّ والتراحم والتعاطف بالجسد أو الرجل الواحد ، ووجه الشبه هو التوافق في الضراء والسراء ، والتعب والراحة ، فإذا تضرر عضو في الجسد تضرر معه سائر الأعضاء ، وإذا استراح العضو استراح معه سائر الأعضاء .. وكذا المؤمنون مع بعضهم بعضا متحابون متوادون متعاونون متراحمون .. إذا تألم واحد منهم تألم له سائر الأمة ، وإذا استراح واحد منهم استراحت لاستراحته بقية الأمة .. يقول ابن حجر :

" قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : فَتَشْبِيهه الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَسَدِ الْوَاحِد تَمْثِيل صَحِيح ، وَفِيهِ تَقْرِيب لِلْفَهْمِ وَإِظْهَار لِلْمَعَانِي فِي الصُّوَر الْمَرْئِيَّة ، وَفِيهِ تَعْظِيم حُقُوق الْمُسْلِمِينَ وَالْحَضّ عَلَى تَعَاوُنهمْ وَمُلَاطَفَة بَعْضهمْ بَعْضًا . وَقَالَ اِبْن أَبِي جَمْرَة : شَبَّهَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْإِيمَان بِالْجَسَدِ وَأَهْله بِالْأَعْضَاءِ ؛ لِأَنَّ الْإِيمَان أَصْل وَفُرُوعه التَّكَالِيف ، فَإِذَا أَخَلَّ الْمَرْء بِشَيْءٍ مِنَ التَّكَالِيف شَأْن ذَلِكَ الْإِخْلَال بِالْأَصْلِ ، وَكَذَلِكَ الْجَسَد أَصْل كَالشَّجَرَةِ وَأَعْضَاؤُهُ كَالْأَغْصَانِ ، فَإِذَا اِشْتَكَى عُضْو مِنْ الْأَعْضَاء اِشْتَكَتْ الْأَعْضَاء كُلّهَا كَالشَّجَرَةِ إِذَا ضُرِبَ غُصْن مِنْ أَغْصَانهَا اِهْتَزَّتْ الْأَغْصَان كُلّهَا بِالتَّحَرُّكِ وَالِاضْطِرَاب " (١) .

١ - فتح الباري ١٠ / ٤٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما ذكره ابن حجر عن ابن أبي جمرة لا يتلاقى مع سياق الحديث ؛ إذ ليس الحديث مسوقا لبيان الإيمان وأنه أصل وتكاليفه فروع له كأصل الشجرة وفروعها .. وإنما الحديث مسوق لشيء آخر وهو حث المؤمنين على التراحم والتواصل ، وأنهم في هذا التراحم والتواصل كالجسد الواحد الذي يألم كله لألم بعضه ، ويؤيد ذلك الأوصاف التي ذكرت في جانب المؤمنين " في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ " فهذه الأوصاف فيها دلالة على أن الغرض من التشبيه هو الحث على التراحم والتواصل .. ؛ ولذلك يقول المناوي عن فائدة هذا التشبيه : " أفاد تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والتعاضد في غير إثم ولا مكروه ، ونصرتهم والذب عنهم ، وإفشاء السلام عليهم ، وعيادة مرضاهم ، وشهود جنائزهم وغير ذلك ، وفيه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق بهم بسبب " (١) .

وهذه الأوصاف التي ذكرت " وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَارِبَةً فِي الْمَعْنَى لَكِنْ بَيْنَهَا فَرْقٌ لَطِيف ، فَأَمَّا التَّرَاحُم فَالْمُرَاد بِهِ أَنْ يَرْحَم بَعْضهمْ بَعْضًا بِأُخُوَّةِ الْإِيمَان لَا بِسَبَبِ شَيْء آخَر ، وَأَمَّا التَّوَادُد فَالْمُرَاد بِهِ التَّوَاصُل الْجَالِب الْمَحَبَّة كَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي ، وَأَمَّا التَّعَاطُف فَالْمُرَاد بِهِ إِعَانَة بَعْضهمْ بَعْضًا كَمَا يَعْطِف الثَّوْب عَلَيْهِ لِيُقَوِّيَهُ " (٢) .

---

١ - فيض القدير ٦ / ٢٥٩ .

٢ - فتح الباري ١٠ / ٤٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد أو الرجل الواحد – كما جاء في هذا الحديث الشريف – يتلاقى مع كثير من الآيات القرآنية التي نزلت المؤمنين منزلة النفس الواحدة كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء ٢٩] يقول الألوسي : " أي لا يقتل بعضكم بعضاً ، وعبر عن البعض المنهي عن قتلهم بالأنفس للمبالغة في الزجر ، وقد ورد في الحديث " المؤمنون كالنفس الواحدة"(١).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : { فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} [النور ٦١] وقوله تعالى : { وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات ١١] .. يقول الطبري : " وقوله(وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون، ولا يطعن بعضكم على بعض ، وقال :(وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه ؛ لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره ، وطلب صلاحه ، ومحبته الخير ؛ ولذلك رُوي الخبر عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – أنه قال: "المُؤْمِنُونَ كالجَسَدِ الواحِدِ إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جَسَدِه بالحُمَّى والسَّهَر". وهذا نظير قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا

١ - روح المعاني ٤ / ٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم) بمعنى: ولا يقتل بعضكم بعضا" (١) .

٢ – تشبيه المؤمن بالرأس :

ورد تشبيه المؤمن بالرأس في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن سعد الساعدي عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ " (٢) .

ورد هذا الحديث لبيان أهمية المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن وكيف إن المؤمن لا يستغني عن أخيه المؤمن ، كما أن أخاه المؤمن لا يستغني عنه ، فالمؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن كالرأس بالنسبة للجسد في كونه يحتاج إلى الرأس ولا يبقى بدونه ، فكذا المؤمن يحتاج إلى أخيه المؤمن ولا يبقى بدونه ..

---

١ - جامع البيان ٢٦ / ١٣١ .

٢ - مسند الإمام أحمد ٥ / ٣٤٠ ، والحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٥ / ٦٩ برقم ٤٦٩٦ وفي المعجم الكبير ٢ / ٤٠ برقم ١٢٢٣ وهو حديث صحيح .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا فيه غاية التعاون والتآزر بين المؤمنين ، وأن كلاً منهم لا يستغني عن الآخر ، كما أنهم في حقيقة أمرهم كالجسد الواحد الذي لا يستغني عن أهم أعضائه وهو الرأس ، وقد وضح ذلك المناوي بقوله : " (المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد) إشارة إلى أن المؤمن الكامل في نعوت الإيمان ، الجامع لمكارمه من علم وعمل وتوكل ، وطمأنينة إلى ربه ، ومحبة المؤمنين فيه وإقبالهم عليه في أهل الإيمان المتحققين بأخلاق الإيمان ،(بمنزلة الرأس في الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس) هذا بيان لوجه الشبه ، فمن آذى مؤمنا واحدا فكأنما آذى جميع المؤمنين ، ومن قتل واحدا فكأنما أتلف من الجسد عضوا وآلم جميع أعضاء ذلك الجسد ، ففرض على أهل الإيمان تعظيمه ، ورفع محله ، وحمل مؤنته وحفظ جانبه ، والتألم لألمه ، والسرور بسلامته ، والاستضاءة بنوره ذلك ، وأعضاؤه مع الرأس كالجسد " (١) .

وبذلك فإن التشبيه في هذا الحديث يتلاقى مع التشبيهات في الأحاديث السابقة التي جاءت لبيان الترابط والتعاون بين المؤمنين كما في قوله – صلى الله عليه وسلم : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى الرَّجُلُ رَأْسَهُ

١ - فيض القدير ٦ / ٢٥٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تداعى لَهُ سَائِرُ جَسَدِه " (١) . وقوله : " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وتَوَادِّهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِه بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (٢) وقوله : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ " (٣) ؛ ولذلك جمع ابن رجب الحنبلي والبيهقي هذه الأحاديث في موضع واحد ..(٤)

وإنما اختار الرأس هنا دون بقية الأعضاء مع أن المقصود في الحديث بيان تآلف المؤمنين وتعاونهم ، وأنهم يتألمون لما يصيب أحدهم كما يتألم الجسد لما يصيب أحد أعضائه ؛ وذلك لأن الرأس مجمع الحواس ، وفيه مراكز الإحساس ، والحياة متعلقة به تعلقا واضحا .. (٥) وهذا فيه دلالة على أهمية هذا العضو ، وكذا المؤمن مع أخيه المؤمن ينبغي عليه أن ينزله منزلة أهم الأعضاء في جسده ..

---

١ - مسند الإمام أحمد ٤ / ٢٦٨ عن النعمان بن بشير .

٢ - صحيح البخاري ٥ / ٢٢٣٨ حديث رقم ٥٦٦٥ .

٣ - صحيح البخاري ١ / ١٨٢ حديث رقم ٤٦٧ ، ٢ / ٨٦٣ حديث رقم ٢٣١٤ ، ٥/ ٢٢٤٣ حديث رقم ٥٦٨٠ ، صحيح مسلم ٤ / ١٩٩٩ حديث رقم ٢٥٨٥ .

٤ - ينظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ١ / ٣٤ ، شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ٥٠٥ .

٥ - ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله صلى الله عليه وسلم : " يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس " توضيح للغرض المسوق له الحديث من تأ المؤمن وتألمه لما يصيب أخاه المؤمن ، كما يتألم الجسد لما يصي الرأس ، يقول البيهقي : " : « المؤمن من المؤمن بمنزلة الرأس من الجسد يألم الرأس لما يصيب الجسد ، وكذلك المؤمن يألم بما يصي المؤمن » قال الحليمي رحمه الله : وكذلك ينبغي أن يكونوا ، ولما ي يحب أحد لأحدى بنيه إلا ما يحب للأخرى ولا لإحدى عينيه أو رجليه و تنبيه إلا ما يحب للأخرى فكذلك ينبغي له أن يحب لأخيه المسلم إلا ما يحب لنفسه "(١) .

٣ – تشبيه المؤمن باليدين :

ورد تشبيه المؤمن باليدين في الحديث الذي يرويه البيهقي عن أبي البختري قال : قال سلمان : « المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغي إحداهما الأخرى »(٢) .

١ . شعب الإيمان ٧ / ٥٠٥

٢ . شعب الإيمان للبيهقي ٦ / ١٢٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التشبيه في هذا الحديث الشريف يبين كيف إن المؤمن يتعاون مع أخيه المؤمن ، ويتكامل معه ، وأنه لا يستطيع أن يقوم بأعباء الحياة منفردا عن أخيه المؤمن .. كما أن اليد بمفردها لا تستطيع إنجاز الأعمال على الوجه الأكمل ، وإنما يتم ذلك بمعاونة اليد الأخرى .. فكل من اليدين تكمل الأخرى ، وكذا المؤمن يتكامل مع أخيه المؤمن .

وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد، فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المشاركة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار .. وأن المؤمن ينصر أخاه المؤمن وينوب عنه (١) .

وبذلك فإن هذا الحديث يتلاقى مع الأحاديث السابقة التي تحث على تعاون المؤمنين وتآزر بعضهم مع بعضهم الآخر ، والتي تبين أن المؤمن لا يستقل عن أخيه المؤمن .. كما سبق بيان ذلك .

وكما أن المؤمن يتعاون مع أخيه المؤمن في قضاء مصالحه وحوائجه .. كذا يتعاون معه في دفع الضر عن نفسه ، كما أن اليد تدفع الضر عن اليد الأخرى ؛ ولذلك جاء توضيح النبي – صلى الله عليه وسلم – لوجه الشبه بقوله : " تقي إحداهما الأخرى " أي : تدفع عنها ما

---

١ - ينظر : إحياء علو م الدين ٢ / ٢١ ، ٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يلحق بها من أذى أو درن .. وهذا ما وضحته رواية ابن وهب : " مثل المسلم وأخيه كمثل الكفين تنقي إحداهما الأخرى"(١) وقد زاد ذلك وضوحا في روايتي السلمي وابن شاهين « إنما مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » (٢) .

وبذلك فإن المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن كاليد بالنسبة لليد الأخرى ، فكما أن اليد تغسل الأخرى وتزيل ما بها من أذى أو عيب ، فكذا المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن يزيل الأذى أو العيب الذي يكون بأخيه المؤمن ..

وبناء على ذلك فإن التشبيه في هذا الحديث يتلاقى مع تشبيه المؤمن بالمرآة في الحديث المذكور آنفا ، وهذا فيه دلالة على كمال بلاغته صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يعبر عن الغرض الواحد بأساليب متنوعة في التركيب ، ومع ذلك فهي متلاقية في تحقيق الغرض المراد منها ..

---

١ - الجامع لابن وهب ١ / ٢٠٢ .

٢ - ينظر : آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ١ / ١٠٥ ، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ١ / ٤٩٣ ، . تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ٤ / ٢٥٠ إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية ، إحياء علوم الدين للغزالي ٢ / ٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامسا : تشبيهات متفرقة للمؤمن

ورد للمؤمن تشبيهات أخرى لا تدخل في الأقسام السابقة ، وهذه التشبيهات قد يكون المشبه به شيئا واحدا كما في تشبيه المؤمن بالنحلة ، وتشبيه المؤمن بالعطار ، وقد يكون أمورا متعددة كتشبيهه في مروره على الصراط بالطرف والبرق والريح وأجاويد الخيل ..

١ - تشبيه المؤمن بالنحلة :

ورد تشبيه المؤمن بالنحلة في الحديث الذي رواه ابن حبان عن أبي رزين قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " مَثَلَ الْمُؤْمِنِ مَثَلِ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إلاّ طَيِّبًا ولَا تَضَعُ إلاّ طَيِّبًا " (١) .

---

١ - صحيح ابن حبان ١ / ٤٨١ حديث رقم ٢٤٧ ، والحديث أيضا روي في : شعب الإيمان للبيهقي ٥ / ٥٨ حديث رقم ٥٧٦٥ ، المستدرك ١ / ١٤٧ حديث رقم ٢٥٣ ، والمعجم الأوسط للطبراني ٣ / ١١٠ حديث رقم ٢٦٣٧ وذكره الأستاذ / محمود شاكر في هامش : ٢٤٥ من أسرار البلاغة ، وقال : رواه أحمد في السند عن عبد الله بن عمر برقم : ٦٨٧٢ ، وهو حديث طويل ، وقال : " إسناده صحيح ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي ينعم النظر في هذا التشبيه يجد أنه جاء لبيان صفاء المؤمن وطيبه ظاهرا وباطنا ، وأنه لا يأكل إلا طيبا ؛ ولذا فما يخرج منه طيب أيضا ..

ولأجل ذلك جاء وصف المشبه به " النحلة " بما يحقق الغرض المراد من التشبيه ، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا " وعلى ذلك فوجه الشبه بين المؤمن والنحلة هو الطيب والنفع في كل .. طيب الغذاء ، وطيب الإنتاج ، وهذا مترتب على ذلك .

وبذلك فإن هذا التشبيه يتلاقى مع أمر المؤمنين بالأكل من الطيب كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة: ١٧٢] وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } وَقَالَ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " (١) .

١ - صحيح مسلم ٢ / ٧٠٣ حديث رقم ١٠١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمن لا يأكل إلا طيبا ، وطيب المطعم يورث صلاح القلب ، وإذا صلح القلب وزكا صلحت سائر الجوارح ، فكان كل شيء يأتيه من قول أو فعل طيبا ، قوله ذكر ودعاء .. يصلح نفسه وعلاقته مع الله والخلق ، ويصلح الخلق ويهديهم إلى الله ، يصلحهم لأنفسهم ويصلح بعضهم لبعض .. كالنحلة تضع العسل الذي هو شفاء وصلاح للأبدان ، ولذة للشاربين ..

وقد ذكر العلماء كثيرا من أوجه التشابه بين المؤمن والنحلة ، من ذلك ما ذكره ابن الأثير بقوله : " وفي حديث ابن عمر [مَثَل المؤمن مَثَل النَّحلة] المشهور في الرواية بالخاء المعجمة ، وهي واحدةُ النخيل ، ورُوِي بالحاء المهملة يريد نَحْلة العسل ، ووجْه المشابَهَة بينهما حِذْقُ النَّحل وفِطْنَتُه ، وقلّة أذاهُ وحَقارَته ، ومنفعته ، وقُنوعُه وسَعْيُه في الليل ، وتَنزُّهُه عن الأقْذار ، وطِيب أكلِه ، وأنه لا يأكلُ من كَسْب غيره ... وأنَّ للنَّحل آفاتٍ تَقْطَعُه عن عمله ، منها الظُّلْمة والغَيْم والريح والدخان والماء والنار ... وكذلك المؤمنُ له آفاتٌ تُفَتِّرُه عن عمله : ظلمةُ الغفلة وغَيْم الشكِّ وريحُ الفتنة ودُخَان الحرام وماءُ السَّعة ونار الهَوَى " (١) .

وقد ذكر ذلك أيضا الدميري وزاد عليه قوله : " اعلم أن الله تعالى جمع في النحلة السم والعسل دليلاً على كمال قدرته، وأخرج منها العسل

---

١ - النهاية في غريب الأثر - ابن الأثير ٥ / ٦٥ تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممزوجا بالشمع ، وكذلك عمل المؤمن ممزوجاً بالخوف والرجاء ، وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء والحلاوة واللين ، وكذلك المؤمن ، قال الله تعالى: { ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر: ٢٣] ويخرج من الشاب خلاف ما يخرج من الكهل والشيخ ، وكذلك حال المقتصد والسابق ، وأمرها الله تعالى بأكل الحلال ، حتى صار لعابها شفاء ودواء"(١) .

ويقول الألوسي : " وقال أبو بكر الوراق : النحلة لما اتبعت الأمر ، وسلكت سبل ربها على ما أمرت به ، جعل لعابها شفاءً للناس ، كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر ، وحفظ السر ، وأقبل على ربه – عز وجل – جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاءً للخلق ، فمن نظر إليه اعتبر ، ومن سمع كلامه اتعظ ، ومن جالسه سعد " (٢) .

كما ذكر المناوي في فيض القدير أكثر من وجه للتشابه بين المؤمن والنحلة بقوله : إذا أطلق المؤمن غالبا أنه يعني به المؤمن الذي تكاملت فيه خصال الخير باطنا وأخلاق الإسلام ظاهرا ، فشبه المؤمن بذبابة العسل ؛ لقلة مؤنتها وكثرة نفعها ، كما قيل إن قعدت على عش لم تكسره وإن وردت على ماء لم تكدره ، وقال علي : كونوا في الدنيا كالنحلة كل الطير يستضعفها وما علموا ما ببطنها من النفع والشفاء ... إنها لا تأكل

---

١ - حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢ / ١٩٦ .

٢ - روح المعاني ١٤ / ٢١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بمرادها وما يلذ لها ، بل تأكل بأمر مسخرها في قوله : { كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } [النحل:٦٨، ٦٩] حلوها ومرها لا تتعداه إلى غيره تخليط ؛ فلذلك طاب وصفها لذة وحلاوة وشفاء ، فكذا المؤمن لا يأكل إلا طيبا وهو الذي حلى بإذن ربه لا بهوى نفسه ، فلذلك لا يصدر من باطنه وظاهره إلا طيب الأفعال ، وذكي الأخلاق ، وصالح الأعمال ، فلا يطمع في صلاح الأعمال إلا بعد طيب الغذاء ، وبقدر صفاء حله تنمو أعماله وتذكو .." (١) .

فكل هذه الآراء وغيرها في المشابهة بين المؤمن والنحلة يمكن قبولها من جهة العقل والنقل ، ولكن الذي أراده النبي – صلى الله عليه وسلم – من الطيب والنفع هو الملائم لسياق الحديث ومقامه ؛ إذ ليس الغرض من التشبيه في الحديث هو استقصاء أوج المشابهة بين المشبه " المؤمن " والمشبه به " النحلة " وإنما المراد من المشابهة ما يتلاءم مع سياق الكلام ؛ ولذا فالأولى الاقتصار على وجه الشبه المستفاد من كلامه صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا " ..

ومما يؤكد تشابه المؤمن مع النحلة في هذا الجانب (أكل الطيب ووضع الطيب) رواية البيهقي : « مثل المؤمن كمثل النحلة لا يأكل إلا طيبا ولا يضع إلا طيبا »(٢) فقد جعلت هذه الرواية أكل الطيب ووضع

---

١ - فيض القدير ٥ / ٥١٦ .

٢ - شعب الإيمان ٥ / ٥٨ حديث رقم ٥٧٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطيب من أوصاف المشبه " المؤمن " وبذلك فإن هذا الوصف كما أنه متحقق في جانب المشبه به " النحلة " فهو متحقق كذلك في جانب المشبه " المؤمن " فكل من المؤمن والنحلة قد وصف بهذا الوصف ..

ومما يؤكد ذلك أيضا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يشر إلى جانب مهم في النحلة ، وإنما تركه للسامع ، وهو أن من اعتدى عليها أذاقته من لسعها الشيء الموجع المؤلم .. تركه إيثارا لبقاء جو الحديث المحبب الطيب (١) .

وقد زادت بعض الروايات على وصف النحلة بأكل الطيب ووضع الطيب وصفها بـ " وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ " (٢) .

وهذه الرواية تتلاقي مع سياق الحديث في بيان النفع والطيب في كل من المؤمن والنحلة ؛ إذ النحلة لخفة وزنها لا تفسد ما تقع عليه ، فلا يتأتى منها الضرر أو الإفساد لما تقع عليه بحال من الأحوال ..

وكذا المؤمن لا يحصل منه الأذى لغيره ، وإنما يحدث منه النفع في جميع أحواله ، كما جاء في حديث : « إن مثل المؤمن كمثل النخلة ، إن صاحبته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن جالسته نفعك ، وكل شأنه منافع ، وكذلك النخلة كل شأنها منافع » (٣) وبذلك تتلاقى تشبيهات

---

١ - ينظر التصوير الفني في الحديث النبوي ٤٤٦ .

٢ - ينظر هذه الرواية في : مسند الإمام أحمد ٢/ ١٩٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص حديث رقم ٦٨٧٢ ، المستدرك ١ / ١٤٧ حديث رقم ٢٥٣ .

٣ - شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ٥٠٤ حديث رقم ٩٠٧٢ حديث حسن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمن في الحديث النبوي وتتآزر لتحقيق الخير للمؤمنين إن هم تحققت فيهم هذه التشبيهات ..

٢ - تشبيه المؤمن بالعطار :

ورد تشبيه المؤمن بالعطار في الحديث الذي يرويه الطبراني في المعجم الكبير عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْعَطَّارِ ، إِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ مَاشَيْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ شَارَكْتَهُ نَفَعَكَ " (١) .

هذا الحديث جاء لبيان وإثبات خيرية المؤمن ونفعه على كل حال وفي كل وقت ، فالمؤمن في كل أحواله نافع لأخيه المؤمن ، ولا يتأتى منه الضرر ؛ إذ ليس الضرر من شأن المؤمن الكامل الإيمان ولا من أخلاقه .. ؛ ولذا شبه بالعطار ، فالعطار ينتفع به على أي حال فإن ابتعت منه نفعك وإن جلست إليه نفعك ..

ومما يؤكد ذلك أن الإمام أحمد رواه في مسنده عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رِوَايَةً قَالَ : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَمَثَّلَ

---

١ - المعجم الكبير ١٢ / ٤١٨ حديث رقم ١٣٥٤١ ، كنز العمال ١ / ١٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَطَّارِ إِن لَمْ يُحْذِكَ مِنْ عِطْرِهِ عَلِقَكَ مِن رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ الْكِيرِ إِن لَمْ يُحْرِقْكَ نَالَكَ مِن شَرَرِهِ ، وَالْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ مُؤْتَجِرًا أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ " (١) فاتصال تشبيه المؤمن بالعطار بتشبيهه بالبنيان يدل على مدى التلاقي والتعاون والنفع فيما بين المؤمنين .. فالمؤمن كل شؤونه نفع لإخوانه (إن ماشيته نفعك) بإرشاد الطريق والأنس والاستفادة ونحو ذلك ، (وإن شاورته) فيما يعرض لك من المهمات التي يضطرب رأيك فيها (نفعك) بإشارته عليك بما ينفعك ، (وإن شاركته) في أمر دنيوي أو غيره (نفعك) بمعرفته وتحمل المشاق عنك فكل شيء من أمره منفعة.. (٢) وهذا فيه إرشاد إلى الرغبة في صحبة العلماء والصالحين ومجالستهم ، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة ، وإلى تجنب مصاحبة الأشرار فإنها تورث الشر ، كالريح إذا هبت على الطيب عبقت طيبا ، وعلى النتن حملت نتنا...

وتشبيه المؤمن بالعطار في عموم النفع يتلاقى مع وقوع العطار مشبها به في الحديث النبوي كما جاء في قوله صلى الله عليه

---

١ - مسند الإمام أحمد ٤ / ٤٠٤ حديث رقم ١٨٧٩٨ .

٢ - ينظر : فيض القدير ٥ / ٥١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسلم : « مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من عطره - أو قال : إن لم تصب من عطره - أصابك من ريحه » (١) .

والعطار ورد التعبير عنه بـــ " حامل المسك " في بعض الروايات كما في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَن يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَن تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَن تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَن يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَن تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " (٢) .

فكل هذه الروايات تؤكد نفع العطار ، وأنه ينتفع به على كل حال ، وبذلك تتلاقي التشبيهات المتعددة في كلامه صلى الله عليه وسلم على تحقيق الغرض المقصود منها ..

---

١ - المستدرك على الصحيحين ٤ / ٣١٢ حديث رقم ٢٢١٦ ، صحيح ابن حبان ٢ / ٣٤١ حديث رقم ٥٧٩ وزاد فيه : " ومثل الجليس السوء مثل القين ، إن لم يحرقك بشرره ، علق بك من ريحه " .

٢ - صحيح البخاري ٥ / ٢١٠٤ حديث رقم ٥٢١٤ ، صحيح مسلم ٤ / ٢٦٢٠ حديث رقم ٢٦٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ – تشبيه المؤمن بالطِّرف والبرق والريح وأجاويد الخيل :

ورد تشبيه المؤمن بالطِّرف والبرق وأجاويد الخيل في حديث الشفاعة الذي يرويه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عنْهُ – قَالَ :

" قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا ؟ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ....ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطِّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا "(١) .

---

١ - صحيح البخاري ٦ / ٢٧٠٧ هذا جزء من حديث طويل ورد في الصحيحين رقم ٧٠٠١ ، صحيح مسلم ١ / ١٦٩ حديث رقم ١٨٣ وعمدة القاريء ٢٥/ ١٩١ حديث رقم : ٧٤٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذن ونظر في تشبيه المؤمن في هذا الحديث الشريف بالطرف ، والبرق ، والريح ، وأجاويد الخيل نجد أنها جاءت في سياق الحديث عن مرور المؤمنين على الصراط وبيان سرعتهم في هذا المرور ، وكيف أن مرورهم يتفاوت في سرعته على حسب أعمالهم ، فمنهم من تكون سرعته كسرعة الطرف ، ومنهم من تكون سرعته كسرعة البرق ...

فالمشبه المؤمن في مروره على الصراط ، والمشبه به هنا متعدد وهو الطرف ، والبرق ، والريح ، وأجاويد الخيل ، ووجه الشبه السرعة في كل .

والسرعة هنا سرعة خارقة ؛ إذ لم يعهد مثلها في الإنسان قبل ذلك ، هذا فضلاً عن أن هناك ما يعوق هذه السرعة ويحاول تثبيط الإنسان وإيقافه ، ومن ذلك أن الصراط نفسه وصف في هذا الحديث بأنه " مَحْضَةً مَزِلَّةً " أي : المَوضِع الَّذِي تزِلّ فِيهِ الْأَقْدام ولَا تستقرّ ، ومِنْهُ مَحَضَتْ الشَّمْس أَيْ : مَالَتْ ، وَحُجَّة دَاحِضَة لَا ثَبَات لَهَا (١) . كما وصف في موضع آخر بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – " بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ " (٢) وهذا لا يساعد على شدة السرعة بل يؤدي إلى بطء السير وثقله خوفا من الوقوع ..

---

١ - ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٣٢٤ .

٢ - صحيح مسلم ١ / ٤٢٧ حديث رقم ٢٦٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا فضلا عن وجود الكلاليب على حافتي الصراط تحاول خطف الإنسان بقوة وشدة ، وهذه الكلاليب تشبه شوك السعدان ، وقد جاء تشبيهها بذلك وتعظيم أمرها في رواية أخرى للبخاري : " وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ " (١) .

وَكَلَالِيب : جَمْع كَلُّوب بِالتَّشْدِيدِ ، والكَلُّوب: حديدة معطوفة كالخُطّاف(٢) ، والحسك: معروف، وهو شيء مضرس ذو شوك ينشب به كل ما مر به ، وَالسَّعْدَان : جَمْع سَعْدَانَة وَهُوَ نَبَات ذُو شَوْك يُضْرَب بِهِ الْمِثْل فِي طِيب مَرْعَاهُ قَالُوا : مَرْعًى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ... وتَشْبِيه الكَلَالِيب بِشَوْكِ السَّعْدَان خَاصّ بِسُرْعَةِ اِخْتِطَافهَا وَكَثْرَة الِانْتِشَاب فِيهَا ، مَعَ التَّحَرُّز وَالتَّصَوُّن تَمْثِيلًا لَهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي الدُّنْيَا وَأَلِفُوهُ بِالْمُبَاشَرَةِ ، ثُمَّ اِسْتَثْنَى إِشَارَة إِلَى أَنَّ التَّشْبِيه لَمْ يَقَع فِي مِقْدَارهمَا (٣) . أي : حينما قال : "غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ " فهذه الجملة تدل على أن التشبيه في

---

١ - صحيح البخاري ٥ / ٢٤٠٣ حديث رقم ٦٢٠٤ .
٢ - ينظر : لسان العرب ١ / ٧٢١ " ك ل ب " .
٣ - ينظر : فتح الباري لابن حجر ١١ / ٤٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سرعة الخطف فقط وليس في حجم كل منهما أو مقداره ، فمقدار هذه الكلاليب لا يعلم عظمها إلا الله ، وهذا فيه تهويل من هذه الكلاليب وتخويف منها ؛ ولذلك ذكر ابن حجر بعض الروايات التي تدل على شدة عظمها وقوة أخذها حيث يقول : " وَلِابْنِ الْمُبَارَك عَنْ مُرْسَل عُبَيْد ابْن عُمَيْر " إِنَّ الصِّرَاط مِثْل السَّيْف وَبِجَنْبَتَيْهِ كَلَالِيب ، إِنَّهُ لَيُؤْخَذُ بِالْكُلُوبِ الْوَاحِد أَكْثَر مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَر " وَأَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي الدُّنْيَا مِنْ هَذَا الْوَجْه"(١).

ويلحظ هنا ترتيب المشبه به على حسب سرعته ، فبدأ بالطرف(٢) وهو أسرع الأمور المذكورة ، ومعروف أن أكبر سرعة عرفت هي سرعة الضوء ، فبمجرد أن ينظر الإنسان يصل بنظره إلى أبعد شيء يمكن أن يراه (٣) ؛ ولذا جاء في وصف سرعة البراق الذي ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ

---

١ - السابق .

٢ - قال العيني : " كالطرف - بكسر الطاء - وهو الكريم من الخيل ، وبالفتح البصر يعني كلمح البصر وهو الأولى لئلا يلزم التكرار " عمدة القارئ : ٢٥/ ١٩٤ ويقوي الفتح رواية مسلم " لطرْف العين "

٣ - سرعة الضوء هي ستة وثمانون ومائة ألف ميل في الثانية! والسنة الضوئية تعني مسافة ست مائة مليون ميل . ينظر : في ظلال القرآن ٦ / ٢٦٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ "(١).

ومما يدل على أن الطرف أسرع الأشياء ما جاء في قصة سيدنا سليمان - عليه السلام - في إحضار عرش بلقيس مما قصه الله علينا في قوله : { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } [النمل ٣٨- ٤٠]

ثم يأتي بعد ذلك البرق ، وهو من شدة سرعته ولمعانه وضيائه يكاد يخطف الأبصار كما جاء في وصفه في قوله تعالى : { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة ٢٠]

وقد جاء تفسير مر البرق وبيان سرعته وأنها قريبة من سرعة النظر وذلك في بعض الراويات التي ذكرت أن الراوي قال : " : قلت : بأبي أنت

١ - صحيح مسلم ١ / ١٤٥ حديث رقم ١٦٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأي أي شيء كمر البرق ؟ قال : " ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين " (١)

ثم يأتي بعد ذلك الريح ، والريح معروف بسرعته ، وإن كانت سرعته أقل من سرعة الطرف والبرق ، ومما يدل على سرعة الريح ما جاء في قوله تعالى : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج:٣١] فاقتران الريح مع الطير يدل على السرعة في كل منهما ، فكما أن الطير تخطف المشرك في سرعة ، فكذا الريح تهوي به إلى أبعد مكان في سرعة أيضا .. والملاحظ في التشبيه في الآية أنه يدل على سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في العطف بالفاء ، وفى المنظر بسرعة الاختفاء(٢) ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سرعة بعد من أشرك بالله من

---

١ - مشكاة المصابيح ٣ / ٢١٩ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة : الثالثة - ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

(٢) ينظر : التصوير الفني ٤٠ للشيخ سيد قطب ط دار المعارف طبعة تاسعة ١٩٨٠م ، الإعجاز الفني في القرآن ١٥١ عمر السلامي نشر وتوزيع عبد الكريم بن عبد الله - تونس ١٩٨٠م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ساحة الرضوان ، حتى تصل به إلى مهاوي الضياع ، والإنذار بسوء المآل[1] ، وهذا يتلاقى مع الشدة في إفراد الريح .

ويلحظ هنا أن الريح جاءت مفردة ، فلم يقل :كمر الرياح ؛ وذلك لأن اختلاف جهات الرياح يجعل بعضها يعترض بعضا ، وهذا يقلل من سرعتها وقوتها ؛ ولذا جاء التعذيب بالريح في القرآن الكريم وهي مفردة كما في قوله تعالى : {أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ} [الإسراء :٦٩] وقوله : {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف :٢٤] وقوله : {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذاريات :٤١] ...(٢)

ثم جاء آخر الأمور المشبه بها المؤمن في سرعة مروره على الصراط وهو أجاويد الخيل ، ولا شك في سرعة الخيل وقوتها وشدة عدوها ، وهنا لم يكتف بالتشبيه بالخيل مجردة ، وإنما وصفها بما يدل على شدة سرعتها ، وهو " أجاويد " فليست خيلا معتادة وإنما الجياد منها ، يقول الطبري : " الأجاويد " جمع " أجواد " ، وهي جمع " جواد " ، وهو الفرس السابق الجيد ، ثم يقال : " فرس جواد الشد " ، إذا كان

---

(١) ينظر : بذور المباحث البلاغية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٦٢ رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بأسيوط إعداد / على عبد الحميد عيسى .

٢ - ينظر في ذلك : التعبيرات القرآنية التي جاءت على وتيرة واحدة ٤١٤ رسالة دكتوراه للباحث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجود بحضره وجريه جودا متتابعا ، لا يكل " (١) . وبذلك فإن جميع الأمور المشبه بها تتلاقي في السرعة وإن كانت تتفاوت السرعة فيها من واحد لآخر ..

١ - تفسير الطبري ١٤ / ٥٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ...

وبعد

فقد تم بحمد الله وتوفيقه كتابة هذا البحث في تشبيهات المؤمن في الحديث النبوي الشريف ، وبعد هذه المعايشة لتشبيهات المؤمن في كلامه صلى الله عليه وسلم يمكن للباحث أن يرصد أهم النتائج التي تم التوصل إليها ومنها :

أولاً : أن جميع تشبيهات المؤمن جاء التعبير عن المؤمن فيها معرفا بالألف واللام هكذا " المؤمن " وهذا فيه دلالة على الكمال في الإيمان ، وكأن الذي يتحدث عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – هو المؤمن الكامل الإيمان ، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مكتمل الإيمان في جميع أحواله .. ولذا لم يأت التعبير عن المؤمن في كل جميع التشبيهات مناط البحث بـ " الذي آمن " مثلا ، وهذا يتلاقي مع الاستعمال القرآني في التفريق بين استعمال " المؤمنين " واستعمال " الذين آمنوا " .. وهذا يعني أن الحديث يصف المؤمن المثالي ، وأن المرء ينال من هذه الأوصاف بقد إيمانه ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : أن تشبيهات المؤمن في الحديث النبوي تتلاقى مع كثير من تشبيهات القرآن ، وهذا يؤكد على تأثر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأسلوب القرآن ، كما يدل على أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يهدفان إلى غاية واحدة ويخرجان من معين واحد وهو الوحي تصديقا لقوله تعالى في وصف النبي– صلى الله عليه وسلم – { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى } [النجم ٣ – ٤]

ثالثا : أن تشبيهات المؤمن على تعددها وتنوعها يلاقي بعضها بعضا تلاقيا ظاهرا ، خاصة الأحاديث التي تشبه المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن .. كما في تشبيه المؤمن بالبنيان ، أو بالمرآة ، أو بالجسد الواحد ، أو بالرأس ، أو باليدين .. وهذا من دلائل بلاغته وكمال فصاحته صلى الله عليه وسلم .

رابعا : أن تشبيه المؤمن بالزروع والثمار يأتي في سياق الحديث عن خير المؤمن ونفعه وطيبه وصبره على البلاء ..

خامسا : أن تشبيه المؤمن بالجسد وأجزائه يأتي لبيان التراحم والتواصل والتعاطف بين المؤمنين ، وتأثر بعضهم لما يصيب الآخرين ..

سادسا : أن تشبيه المؤمن بالحيوان أو الجماد ليس فيه حط من قدر المؤمن أو تقليل من شأنه ؛ إذ ليس المقصود فيه التماثل التام بين الإنسان والحيوان أو الجماد ، وإنما هو تماثل في جانب واحد فقط ، وهو أفضل جانب في هذا الحيوان أو الجماد المختار للتشبيه به .. كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الطاعة والانقياد في الجمل والقوة والسرعة في الفرس .. والقوة والتماسك في البنيان .. والوضوح والصفاء في المرآة ..

سابعا : أن تشبيه المؤمن بالحيوان جاء في سياق بيان الخضوع والانقياد ، سواء أكان ذلك ظاهرا كما في تشبيهه بالجمل ، أم كان غير ظاهر كما في تشبيهه بالفرس ؛ إذ الفرس حينما يربط يكون طيّعاً خاضعا ، لا ينفك عن رباطه ، ولا يخرج عنه ..

ثامنا : أن هناك ما يتساوى وجه الشبه في المشبه والمشبه به ، كما في تشبيه المؤمن بالنخلة ، وهذا ما سوغ لأن يقع كل منهما مشبها به ..

تاسعا : استخدام الأحاجي والألغاز في بعض التشبيهات ، كما في تشبيه المؤمن بالنخلة ..

عاشرا : استخدام التشبيه القولي وربطه بالفعلي مثل : (وشبك بين أصابعه) .

وختامًا آمل أن أكون قد وفقت فيما عرضت له ، سائلاً الله أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل لمحة وحين ، عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

المؤلف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

- آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني .
- الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار البشير الإسلامية بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .
- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م .
- الأسماء والصفات للبيهقي ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .
- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، نشر وتوزيع عبد الكريم بن عبد الله - تونس ١٩٨٠م .
- أمثال الحديث لأبي الحسن الرامهرمزي ، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، طبعة دار السرور .
- بذور المباحث البلاغية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بأسيوط ، إعداد / على عبد الحميد عيسى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي الطبعة الرابعة ، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية : ١٤٢٣هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للمرتضى الزبيدي ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .
- تحفة الأحوذي للمباركفوري ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .
- تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .
- التصوير الفني للشيخ سيد قطب ، طبعة دار المعارف طبعة تاسعة ١٩٨٠م .
- التصوير الفني في الحديث النبوي د / محمد لطفي الصباغ ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- التعبيرات القرآنية التي جاءت على وتيرة واحدة ، رسالة دكتوراه للباحث .
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) العلامة أبو السعود طبعة دار إحياء التراث العربي طبعة ثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- تفسير الألوسي (روح المعاني) صححه : محمد حسين العرب ، طبعة دار الفكر العربي ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري ، تحقيق :أحمد محمد شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) تحقيق / سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- تفسير الكشاف للزمخشري تصحيح محمد عبد السلام شاهين ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- الجامع لابن وهب ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، طبعة دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، طبعة دار السرور .
- حاشية السندي على سنن ابن ماجة ، نور الدين أبو الحسن السندي ، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- حياة الحيوان الكبرى للدميري ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.
- زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .
- سنن البيهقي لأبي بكر البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، نشر مكتبة الباز مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت من دون تاريخ.
- سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني الأزدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الفكر من دون تاريخ .
- شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا النووي ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .
- شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
- صحيح ابن حبان ، لابن حبان التميمي البستي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- صحيح البخاري ، لأبي عبد الله البخاري ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير اليمامة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- صحيح مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت من دون تاريخ .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، طبعة دار السرور .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- علم البيان د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- عون المعبود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ .
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ .
- فتح الباري لابن رجب الحنبلي ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.
- فيض القدير عبد الرءوف المناوي ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .
- في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ، ط دار الشروق طبعة ثالثة عشر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال علاء الدين الهندي تحقيق الشيخ بكرى حباني ، الشيخ صفوت السقا ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- لسان العرب لابن منظور ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصاوي العبيدي طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- مسند الإمام احمد ، الإمام أحمد بن حنبل ، طبعة مؤسسة قرطبة مصر من دون تاريخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة : الثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
- المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، طبعة دار الحرمين القاهرة ١٤١٥ هـ .
- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، طبعة مكتبة العلوم والحكم الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
- مفتاح الباب المقفل في فهم القرآن المنزل لأبي الحسن الحرالي ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٦٧ تفسير تيمور بمكتبة تيمور .
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، طبعة دار السرور .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي تحقيق / عبد الرازق غالب المهدي ط دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، طبعة المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner